

صيانة الأعراس

النور

مجلة إسلامية • ثقافية • شهرية • تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية • العدد ٥١٠ - السنة الثالثة والأربعون - جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ - الثمن جنيهاً



الحمد لله .. هذا ديننا

■ والديك ضعهما في عيذك

■ الأسباب الجالبة للرزق

■ القلب القاسي

السلام عليكم

أخلاق الكبار

كان لأبي حنيفة جَارٌ من الكياليين مُغرم بشرب الخمر، وكان أبو حنيفة يُخَيِّ الليل بالقيام، ويُخَيِّه جاره الكيالي بشرب الخمر والغناء قائلاً:

اضاعوني وأي فتى اضاعوا

ليوم كريمة وسداد تُفر

يعني: اضاعه الناس فصار خُمَارًا لا يصلح للحرب ولا لحراسة الثغور والحدود، فأخذته الشرطُ ليلةً فوقع في الحبس، وفقد أبو حنيفة صوت هذا الخُمَار، فسأل عنه فعرف أنه في الحبس، فلما أصبح أبو حنيفة لبس وخرج إلى الأمير فاستأذن، وكان لا يأتي إلى الأمراء إلا نادراً، فأقبل عليه الأمير بوجهه وقال: أمرٌ مهم جاء بك يا أبا حنيفة، قال: نعم؛ أصلح الله الأمير؛ جَارٌ لي من الكياليين أخذته الشرطة فهو في حبسك، فأمر الأمير بإطلاق كل مَنْ أُخِذَ في تلك الليلة؛ إكراماً لأبي حنيفة، فأقبل الكيَال على أبي حنيفة مُتَشَكِّراً له، فلما رآه أبو حنيفة قال له مازحاً ومُعَرِّضاً ومُذَكِّراً له بغنائه لعله يتركه: اضعنك يا فتى، فقال الفتى: لا والله؛ ولكنك بَرَزْتَ وحَفَظْتَ!!

ما أحوج الدعاة والمصلحين إلى أخلاق الأنبياء والصالحين؛ ليرغب الناس في هذا الدين.

التحرير

ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالاً ،
الإمارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب
دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦
ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا
٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية
باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد
عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية
على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها
الاسم والعنوان ورقم التليفون
٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي
أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بسويقت أو بحوالة بنكية
أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع
القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار
السنة . حساب رقم / ١٩١٥٩٠ .

بشرى سارة

تعلم إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل
التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق
بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى
ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني
التالي: q.tawheed@yahoo.com

التحرير

٨ شارع قولة عابدين- القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧، فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير
GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM
المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تتسلم القراء كرت توفيقاً كاملاً تحتوي على ٤٠ مجلداً
مع مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٠ سنة كاملة

محتاجاً
كبيراً

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



جماحة انصار السنة المحمدية
صاحبة الامتياز

رئيس مجلس الإدارة

د. عبد الله شاكرا الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيك

د. مرزوق محمد مرزوق

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

السنة الثالثة والأربعون / العدد ٥١٠ - جمادى الآخرة ١٤٣٥

في هذا العدد

- ٢ افتتاحية العدد، الرئيس العام
- ٦ أسئلة القراء عن الأحاديث، المحدث أبو إسحاق الحويني
- ٨ دراسات قرآنية، مصطفى البصراي
- ١٠ باب التفسير، د. عبد العظيم بدوي
- ١٤ من فضائل الصحابة، د. عبد المحسن العباد
- ١٧ باب السنة، د. مرزوق محمد مرزوق
- ٢١ دور البحار، علي حشيش
- ٢٣ منبر الحرمين، الشيخ صالح بن حميد
- ٢٦ باب العقيدة، الرئيس العام
- ٣٠ القلوب والفتن، د. جمال المراكبي
- ٣٤ الدعاء قرع لأبواب السماء، أحمد صلاح
- ٣٦ واحة التوحيد، علاء خضر
- ٣٨ دراسات شرعية، متولي البراجيلي
- ٤٢ صيانة الأعراض، الشيخ مصطفى العدوي
- ٤٦ أنواع التربية الواجبة، د. أحمد فريد
- نظرات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم؛
- ٤٩ جمال عبد الرحمن
- ٥٣ تحذير الداعية من القصص الواهية، علي حشيش
- ٥٧ قرائن اللفظ والنقل والعقل، د. محمد عبد العظيم الدسوقي
- ٦١ والديك ضعهما في عيتك، عبده الأقرع
- ٦٤ من عوامل الصبر والثبات، المستشار أحمد السيد علي
- ٦٧ باب الفقه، د. حمدي طه
- ٦٩ القصة في كتاب الله، عبد الرزاق السيد عيد
- ٧١ باب الفتاوى



٧٥٠ جنيماً شمع التكرتوتة للأفراد والهيئات والكنائس
داخل مصر و٢٦٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

منفذ البيع
الوحيد بمقر
مجلة التوحيد
الدور السابع

الحمد لله مجيب من دعاء، ومعطي من طلب منه ورجاء،
والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه، ومن
سلك سبيله واقتفى أثره إلى يوم الدين، وبعد:

فقد ذكرت في اللقاء الماضي لمحة يسيرة عن فضل الدعاء
ومكانته، ورأيت أن الموضوع بحاجة إلى مزيد بسيط وبيان في
بعض المسائل المتعلقة بالدعاء، فأحببت أن أتعرض لها في هذا
اللقاء؛ تكميلاً للفائدة، ورغبة أن أنال دعوة صادقة صالحة.

ومن هذه المسائل ما يلي:

الأولى: حاجة العبد إلى الدعاء؛

جميع العباد فقراء إلى الغني الحميد سبحانه، فهو الذي بيده
ملكوت كل شيء، وخزائن العالم بأسرها بيديه، والعبد لا يملك
لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولو ترك لنفسه لحظة لهلك وضاع، ولهذا
فالعبد في كل لحظة بحاجة إلى ربه ومولاه، ومن هنا أمر الله عباده
بدعائه فقال: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: ٦٠]، وهذا من عظيم كرم
الله وإحسانه بعباده؛ حيث أمرهم بالدعاء، ووعدهم بالاستجابة،
وهو سبحانه لا يرد مؤمناً ناجاه وطلب منه ودعاء، كما في الحديث
القدسي الذي يرويه أبو زر- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يرويه عن ربه، وفيه أن الله تبارك وتعالى قال: «يا
عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا
تظالموا، يا عبادي: كلّم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا
عبادي: كلّم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي:
كلّم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي: إنكم
تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً؛ فاستغفروني
أغفر لكم، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في
صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله، ما نقص ذلك
مما عندي إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل البحر». قال مسلم: قال
سعيد (وهو أحد رجال سلسلة إسناد الحديث): كان أبو إدريس
الخولاني (التابعي الذي رواه عن أبي زر) إذا حدّث بهذا الحديث
جثا على ركبتيه. [مسلم: ٢٥٧٧].

ويظهر من هذا الحديث ضرورة افتقار العبد إلى ربه ومولاه،
وأنه لولا الله لهلك جميع العباد، كما يدل الحديث على أن الله
يحب من العباد أن يسألوه مصالح دينهم ودنياهم؛ من الطعام
والشراب والكسوة، كما يسألونه المغفرة والرحمة والإعانة على
الطاعة، وفيه كمال قدرة الله وغناه وعظمته، وأن خزائنه لا تنفد،
ولو أعطى كل السائلين في وقت واحد سبحانه جل في علاه، ما
اعظم شأنه، وقد صدق في قوله: (ثُمَّ إِنِّي أُنَادِي الْقُرْآنَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ
هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) [فاطر: ١٥]، قال ابن كثير: «يخبر تعالى بغناه
عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه، فقال:
«يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله»، أي: هم محتاجون إليه في
جميع الحركات والسكنات، وهو تعالى الغني الغني عنهم بالذات، ولهذا
قال عز وجل: «والله هو الغني الحميد»، أي: هو المتفرد بالغنى
وجده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله، ويقدره
ويشرعه». [تفسير ابن كثير ٣/٧٤٤].

فيا عباد الله: ارفعوا أكف الضراعة إلى الله، وانزلوا حاجتكم



افتتاحية
الحديث

تذكير

الأخلاء

بأهمية

الدعاء

الحلقة الثانية

بقلم: الرئيس العام

د/ عبد الله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

وأظهروا فقركم إلى الله جل في علاه، فالدعاء من أعظم مظاهر افتقار العبد إلى الله، وحاجته لربه ومولاه.

المسألة الثانية: أسباب إجابة الدعاء

سبق القول بأن الله تبارك وتعالى يجيب من دعاء، ويحقق مقصود من طلبه ورجاه، غير أن هناك أسباباً عظيمة يجب أن يراعيها الداعي كي يقبل الله دعاءه، نذكر منها:

١- **إطابة المطعم:** كما في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه يقول عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ) [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فاني يُستجاب لذلك». [مسلم: ١٠١٥].

فهذا الحديث العظيم قد اشتمل على سبب عظيم يجب أن يراعى في قبول الدعاء، إلى جانب ذكر موانعه، وأول أمر اشتمل عليه الحديث إطابة المطعم، وهو من الأسباب الرئيسة في قبول الدعاء.

٢- **السفر:** وكذلك السفر، فهو من موجبات قبول الدعاء، وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده». [حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ج ٣/١٥٦]. وإذا طال السفر كان أقرب إلى إجابة الدعاء؛ لأنه مظنة انكسار النفس بسبب طول الغربة عن الأوطان، وتحمل المشاق.

٣- **التذلل والتواضع بين يدي العزيز الغفار:** وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك، وقد أجاب ابن عباس رضي الله عنهما من سألته عن استسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج متبذلاً متواضعاً متضرعاً، حتى أتى المصلى، فلم يخطب خطبتكم هذه، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير، وصلى ركعتين كما كان يصلي في العيد». [حسنه الألباني، صحيح سنن الترمذي ١٧٣/١].

٤- **رفع الأيدي إلى السماء:** وقد جاء في الحديث: (يمد يديه..)، وفي حديث سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين». [صححه الألباني، المرجع السابق ١٧٩/٣].

قبول الدعاء متوقف على تحقيق شروطه وانتفاء موانعه

ويجب أن يعلم الداعي أن قبول الدعاء متوقف على تحقيق شروطه وانتفاء موانعه، وبعض الناس يقول: دعوت كثيرًا دون إجابة؟

والجواب عن ذلك: أن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، ونيل المطلوب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه تحقق المطلوب وإلا فلا، كما هو الشأن في جميع الأعمال الصالحة، لا تقبل إلا إذا استوفى المسلم شروطها، وابتعد عن موانع قبولها، والدعاء كذلك. ولالإمام ابن القيم رحمه الله كلمات دقيقة حول هذا

الدعاء من أعظم مظاهر
افتقار العبد إلى الله
وحاجته لربه ومولاه؛
فارفعوا أكف الضراعة
إليه، وأظهروا فقركم
إليه.

المعنى ذاكرة لبعض موانع إجابة الدعاء:

«إن الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إما لضعف في نفسه؛ بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه، وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الرخو جداً، فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والشهوات واللهو وغلبتها عليها، كما في مستدرك الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه». فهذا دواء نافع مزيل للداء، ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته، وكذلك أكل الحرام يبطل قوته ويضعفها». [الجواب الكافي: ٩].

ومن الموانع أيضاً:

- الاستعجال: وقد دل عليه ما جاء في مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل». قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: يقول: دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء». [مسلم: ٢٧٣٥].

فاستعجال الإجابة آفة من الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه، وينتهي حال الداعي عندئذ إلى ترك الدعاء، وهذا معنى قوله في الحديث: «يستحسر».

- الدعاء بإثم أو نحو ذلك: ومن الآفات المانعة من قبول الدعاء دعاء الداعي بإثم أو معصية أو سوء يلحقه أو يلحق غيره، وهذا من حكمة الله تعالى ولطفه بعباده، ولو أنه أجاب العبد في كل ما يريد لترتب على ذلك مفسد عديدة تلحق بالداعي وغيره، وصدق الله في قوله: (وَلَوْ يَخْتَلِفُ أَلْفٌ لِلنَّاسِ شَرْرَ آثِمِهِمْ بِالْخَيْرِ لَنُفِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) [يونس: ١١]، قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده، أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم وأموالهم وأولادهم في حال ضجرهم وغضبهم، وأنه يعلم فيهم عدم القصد بالشر إلى إرادة ذلك، فلماذا لا يستجيب لهم - والحالة هذه - لطفاً ورحمة، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم، أو لأولادهم بالخير والبركة والنماء». [تفسير ابن كثير ٥٤/٢].

وإذا تحققت الشروط وانتفت الموانع؛ وقع فضل الله على عبده بقبول الدعاء عاجلاً أو آجلاً، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلاً». قالوا: يا رسول الله، إذا نكث؟ قال: الله أكثر. [مسند أحمد ١٨/٣].

وللحافظ ابن حجر رحمه الله كلمات دقيقة حول هذا المعنى يقول فيها: «إن الإجابة تتنوع، فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع ولكن بغير المطلوب؛ حيث لا يكون في المطلوب

إن قبول الدعاء متوقف على تحقق شروط وانتقاء موانع كسائر الأعمال، فإذا تحققت الشروط وانتفت الموانع وقع فضل الله على عبده .

مصلحة ناجزة، وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها». [فتح الباري ٣٤٥/١١].

وتتلخص شروط الاستجابة وموانعها في قول الله تعالى: (فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي)؛ فمن استجاب لله تعالى في أمره ونهيه، وصدق بوعده وأمن به فقد تحققت له شروط استجابة الدعاء وانتفت عنه موانع الإجابة، فلن يخلف الله تعالى وعده.

المسألة الثالثة: وجوب اتباع السنة في الدعاء؛

من المعلوم - وهذا نؤكد عليه كثيراً - أن الدعاء حق خالص لله، لا يجوز صرفه إلى غيره، ولا يجيب ويسمع الدعاء إلا الله، ومن قال: لا إله إلا الله، ثم دعا غير الله، فقد هدم إيمانه، وقضى على ما قاله ونفاه.

وكذلك يجب اتباع الهدي النبوي في الدعاء، فالدعاء عبادة، والعبادة مبناه على التوقيف والاتباع.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «لا ريب أن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات، والعبادات مبناه على التوقيف والاتباع، لا على الهوى والابتداع، فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة...، وليس لأحد أن يسئ للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون، ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها، كما يواظبون على الصلوات الخمس، بل هذا ابتداع دين لم ياذن الله به، بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سنة، وأما اتخاذ غير شرعي واستئان ذكر غير شرعي، فهذا مما ينهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة، ونهاية المقاصد العلية، ولا يُعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثّة المبتدعة إلا جاهل، أو مفزط أو معتدٍ». [مجموع الفتاوى ٥١٠، ٥١١].

ويستثنى من ذلك دعاء المرء لنفسه، فلا بأس أن يدعو المرء لنفسه بغير الماثور، بشرط ألا يجعل ذلك ديناً لغيره، فقد ورد من الأدلة العامة والخاصة من الكتاب والسنة ما يدل على جواز الدعاء بغير الماثور، وأنه موافق لأصول الشرع وقواعده ونصوصه وعموماته؛ طالما التزم الداعي فيه بأداب الدعاء الشرعية، وإن كان الالتزام بالماثور أولى وأفضل، فهذا بخلاف الأذكار الشرعية التي هي دين وسنة نبوية.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بتعليم أصحابه الذكر والدعاء، كما في حديث مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات». [مسلم: ٥٩٠].

وكان يصوب من يخطئ منهم ولو في لفظ واحد من الفاظ الذكر والدعاء، كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، والجات ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فإن ميت متٌ على الفطرة، واجعلهم آخر ما تقول، فقلت أستذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت، قال: لا ونبيك الذي أرسلت». [البخاري: ٢٤٧، ومسلم: ٢٧١٠].

قال ابن حجر في شرحه للحديث: «وأولى ما قيل في رده صلى الله عليه وسلم على من قال الرسول بدل النبي أن الفاظ الأذكار توقيفية». [فتح الباري ١١٢/١١].

وقد أحدث الناس في الدعاء بدعاً كثيراً وأوراداً غير مشروعة، والخير كل الخير في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وليحذر الداعي من استعمال آلات الطرب والغناء في الدعاء، فهو بدعة منكرة، يقول فيه الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله -: «وقد أجمع المسلمون على أن هذا من أسوأ أنواع الاعتداء في الذكر والدعاء، وأنه بدعة ضلالة، وعمل محرم قبيح لا يبيح التعبد به مسلم، وأنه من الفتون واتباع الهوى، وإفساد الدين، والصد عن الذكر والدعاء المشروع، ومشاقة لله فيما شرع لعباده، ومعصية لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما بلغ من وحيه، وخروج على شرعه المظهر». [تصحيح الدعاء: ص ٧٦].

والقرآن الكريم مليء بجوامع الدعاء، وفي السنة النبوية ما يكفي ويشفي، فعلى العبد لزوم ما جاء في الكتاب والسنة، ولينته عن الأذكار المحدثّة المبتدعة، حتى لا يكون من المعتدين في الدعاء، والله تعالى يقول: (أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُتَكِبِينَ) [الأعراف: ٥٥]، يقول ابن تيمية رحمه الله: «وينبغي للخلق أن يدعو بالأدعية الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة، فإن ذلك لا ريب في فضله وحسنه، وأنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقاً». [مجموع الفتاوى ٣٤٦/١].

أسأل الله تعالى أن يلهمنا الدعاء، وأن يوفقنا إليه، وأن يحقق الجواب، إن ربي على كل شيء قدير.

١- يسأل سائل عن حديث «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت بالله مؤمناً حقاً. قال: انظر ما تقول؛ فإن لكل قول حقيقة.. قلت: هذا حديث منك.

أخرجه محمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٦٢) قال: حدثنا محمد بن مقاتل. وأبو عبد الله الماليني محمد بن جعفر بن محمود بن حسان في «أحاديثه» (ق ١/ ٣٥-٢) عن عبد الجبار بن العلاء. والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٩٠) عن أبي الصلت الهروي قالوا: ثنا يوسف بن عطية الصفار قال: سمعت ثابت البناني يذكر عن أنس بن مالك قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استقبله شاب من الأنصار. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: كيف أصبحت يا حارثة؟ قال: أصبحت بالله مؤمناً حقاً. قال: «انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة». قال يا رسول الله: «عزفت نفسي عن الدنيا» فأسهرت ليلي وأظلمات نهارى، وكانى بعرش ربي بارزاً، وكانى أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاوون فيها، وأنظر إلى أهل النار كيف يتعاوون فيها. فقال أبصرت فالزم، عبد نور الله الإيمان في قلبه. قال: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة، قال: فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتودى يوماً في الخيل وكان أول فارس استشهد وأول فارس ركب، فبلغ أمه فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقالت: أخبرني عن ابني إن يكن في الجنة لم أبك عليه، وإن يك غير ذلك بكيت عليه ما عشت في الدنيا. قال: يا أم الحارث، إنها ليست جنة، ولكنها جنة من جنان، وإن الحارث في الفردوس الأعلى. قال: فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة.

وأخرجه البزار (٦٩٤٨) - (البحر) قال: حدثنا أحمد بن محمد اللبثي. والعقيلي في: «الضعفاء» (٤/ ٥٥) عن بكر بن خلف قال: ثنا يوسف بن عطية الصفار بهذا الإسناد إلى قوله: «عبد نور الله قلبه» قال العقيلي: «ليس لهذا الحديث إسناد يثبت» يعني: لأوله، أما آخره فهو ثابت كما حققته في «الفتاوى الحديثية» (٣٤٩)، وعلة هذا الحديث يوسف الصفار هذا؛ فإنه تالف.

وأخرجه أبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (٧٥/ ٢) والبيهقي في: «الشعب» (١٠٥٩١) والطبراني في الكبير (ج ٣/ رقم ٣٣٦٧) وعنه أبو نعيم في: «معرفه الصحابة» (٢٠٩٩) عن محمد بن العلاء. وعبد بن حميد في: «المنتخب» (٤٤٥) قال: حدثنا زيد بن الحباب ثنا ابن لهيعة ثنا خالد بن يزيد السكسكي عن سعيد بن أبي هلال المدني عن محمد بن أبي الجهم عن حارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا حارث كيف أصبحت قال: أصبحت مؤمناً حقاً، فقال: «انظر ما تقول؛ إن لكل حق حقيقة» قال: «أست قد عزفت الدنيا عن نفسي، وأظلمات نهارى وأسهرت ليلي، وكانى أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وكانى أنظر إلى أهل الجنة يتزاوون فيها، وكانى أنظر إلى



أسئلة القراء عن الأحاديث



المحدث

أبو إسحاق الحويني

إعداد

به عمرو بن عون عن حفص بن سليمان المقرئ، عن عبد العزيز.

قلت: أما عمرو بن عون فثقة حافظ، والآفة من شيوخه حفص بن سليمان صاحب القراءة المشهورة عن عاصم، فهو متروك.

والصحيح في هذا الباب هو حديث رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أصبحوا بالصبح، فإنه أعظم للأجر». وفي لفظ: «أسفروا بالفجر.....»

أخرجه أبو داود (٤٢٤)، والنسائي (١/ ٢٧٢)، وابن ماجه (٦٧٢)، والدارمي (١٢١٨، ١٢١٩)، وأحمد (٣/ ٤٦٥ و ٤/ ١٤٠، ١٤١)، والحميدي (٤٠٩) وأبو نعيم الفضل بن دكين في «كتاب الصلاة» (٣١٤)، وصححه ابن حبان (١٤٨٩، ١٤٩١) من طريق محمد بن عجلان عن عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج بهذا.

وهذا إسناد جيد. وقد توبع ابن عجلان. تابعه محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة بهذا. أخرجه الترمذي (١٥٤) والدارمي (١٢١٧) وأحمد (٣/ ٤٦٥). وصححه ابن حبان.

٣- ويسأل سائل عن حديث: من علق في مسجد قنديل صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يطفأ ذلك القنديل، ومن بسط فيه حصيراً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يتقطع ذلك الحصير، ومن أخرج منه قذاة كان له كفلان من الأجر.

قلت: هذا حديث موضوع. أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١٠٨/ ٢) والسهمي في: «تاريخ جرجان» (ص ١٣١)، والرافعي في «أخبار قزوين» (٤/ ١٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٣/ ١٥٢)، وابن الجوزي في «الواهيات» (٦٨٢) من طريق عاصم بن سليمان الكوزي ثنا برد بن سنان عن مكحول عن الوليد بن العباس عن معاذ بن جبل مرفوعاً.

وهذا سند موضوع. وعاصم بن سليمان الكوزي ذكره ابن حبان وقال: هو صاحب الحديث: شرب الماء علي الريق يعقد الشحم...

ومن روى مثل هذا كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل كتابه حديثه إلا على جهة التعجب: «وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح. قال الفلاس: كان عاصم بن سليمان يضع الحديث. وقال النسائي: متروك. وكذبه الدارقطني ووقع في تاريخ جرجان: «ثور بن يزيد» بدل «برد بن سنان».

والى لقاء في عدد قادم إن شاء الله.

أهل النار يتضاغون فيها، يعني يصيحون. قال: يا حارثة عرفت فالزم. ثلاث مرات.

وإسناده ضعيف جداً وابن لهيعة ضعيف، ومحمد بن أبي الجهم لا أعلم من حاله شيئاً.

وأخرجه أبو نعيم أيضاً (٢٠٧٠) قال: أخبرنا خيثمة بن سليمان إجازة ثنا محمد بن عيسى بن حبان ثنا محمد بن الفضل بن عطية عن غياث بن المسيب عن سليمان بن سعيد بن أبي بردة عن الربيع بن لوط عن الحارث بن مالك بهذا. وسنده ساقط، ومحمد بن الفضل قال: أحمد: حديثه حديث أهل الكذب.

وكذبه عمرو بن علي الفلاس، وكذلك ابن أبي شيبة والنسائي، وقال صالح جزرة: يضع الحديث. وأخرجه ابن الأعرابي في «المعجم» (٢٠٦) والبيهقي في: «الشعب» (١٠٥٩٢).

عن عبد الرزاق وهو في «المصنف» (٢٠١١٤) من طريق صالح بن مسمار وجعفر بن برقان معضلاً. وكذلك أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٤) عن صالح بن مسمار. وأخرجه ابن أبي شيبة (٤٣/ ١١) قال: حدثنا ابن نمير ثنا مالك بن مغول عن زبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره معضلاً. وأخرجه ابن أبي شيبة أيضاً قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا أبو معشر عن محمد بن صالح الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي عوف بن مالك فذكر مثله. وإسناده منقطع. فالأمر كما قال العقيلي: ليس يثبت لهذا المتن إسناد. والله أعلم.

٢- يسأل سائل عن حديث: «لا تزال أمتي على الفطرة ما أسفروا بالفجر».

قلت: هذا حديث منكر. أخرجه البزار (٨٦٤٨ - البحر) قال: حدثنا محمد بن المثني. والطبراني في «الأوسط» (٣٦١٩) قال: حدثنا سعيد بن سيار الواسطي، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: نا حفص بن سليمان، عن عبد العزيز بن ربيع، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً فذكره. قال البزار: «وهذا الكلام لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، ولا نعلم روي عبد العزيز عن أبي سلمة غير هذا الحديث، وحفص لين الحديث، حدث بأحاديث مناكير، ولكن لما لم نحفظ هذا الحديث إلا من هذا الوجه ذكرناه عنه، وبيننا علته.

وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن عبد العزيز بن ربيع إلا حفص بن سليمان، تفرد به عمرو بن عون».

وأخرجه الدارقطني في «الأفراد» (٥٥٦٦ - أطرافه) من طريق عمرو بن عون بهذا الإسناد وقال: «تفرد

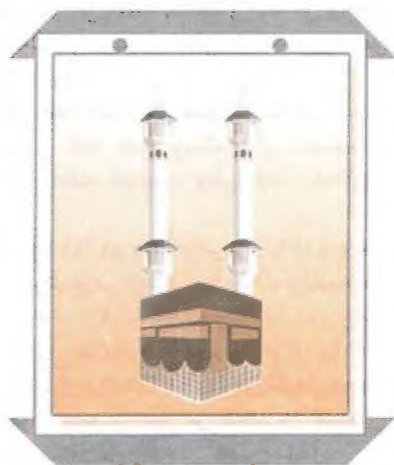
ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن وهو من سورة الأنعام الآية التاسعة والثلاثون وهي قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا وَرَأَيْنَاهُمْ يَقِينًا وَكُفِّرُوا وَكَلَبَتْ فَمُؤْتَاةٌ مِنْ رَبِّكَ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَقْنَطُ بِمُجْعَلِهِ عَلَىٰ صِدْقٍ) [الأنعام: ٣٩].

قال القاسمي في محاسن التأويل (٢٣٠٩/٦): في قوله تعالى: «وَأَمَّا الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا صُمْ وَبَكُم فِي الظُّلُمَاتِ، أَيْ: مثلهم في جهلهم، وعمى فهمهم، وسوء حالهم، كمثل الصم (جمع أصم وهو الذي لا يسمع، والبكم (جمع أبكم وهو الذي لا يتكلم)، وهم مع ذلك في ظلمات لا يبصرون، فكيف يهتدي مثلهم إلى الطريق أو يخرج مما هم فيه؟»

وقال ابن كثير في تفسير الآية: «والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات» أي: مثلهم في جهلهم، وقلة علمهم، وعدم فهمهم، كمثل أصم، وهو الذي لا يسمع، أبكم وهو الذي لا يتكلم، وهو مع هذا في ظلمات لا يبصر، فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق؟

قال ابن عثيمين في تفسير سورة الانعام ص ٢١٠:
 قوله: «والذين كذبوا بآياتنا» هذه الجملة معطوفة
 عطف جمل، أي: قالوا إنها كذب ولم يصدقوا بها،
 جاءوا للآيات الكونية، وقالوا: هذه سحر، وكما قال
 الله عز وجل عن قريش: (افْتَرَيْنَا السَّحَابَ وَاشْتَقَى الْقَمَرُ
 ١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُقَرِّبُوا يَوْمَئِذٍ وَجْهَهُمْ لِقَوْمِهِمْ [القصص: ١]
 ٢، فكذبوا بالآيات الكونية، وكذبوا كذلك بالآيات
 الشرعية، ووصفوا الرسل بالكذبة وبالشعراء
 وبالكهنة وبالمجانين وبالمسحورين، وما أشبه ذلك،
 وهذا تكذيب بالآيات الشرعية.

«صم» بأذَانِهِمْ لَا يَسْمَعُونَ الْكِتَابَ سَمَاعَ انْتِفَاعٍ،
فَانْسُدْ طَرِيقَ الْحَقِّ عَنْهُمْ مِنْ جِهَةِ السَّمَاعِ.
«وَبِكُمْ» جَمْعُ أَنْكُمُ وَهُوَ الَّذِي لَا يَنْطِقُ فَلَا يَنْطِقُونَ



الأمثال في القرآن

«مثل المكذب بآيات الله تعالى»

مصطفى البصراي

عدد ۱ /

بالحق، ولكنهم ينطقون بالباطل.

«في الظلمات» لا يبصرون، الظلمات محيطة بهم من كل جانب؛ لأن «في» تدل على الظرفية، والظرف محيط بمظروفه، فأنسدت عليهم أبواب العلم والمعرفة: السمع والبصر والنطق، والعياذ بالله، وفي هذا قال الله عز وجل في سورة البقرة: «**عَمِيَ نُورُهُمْ لَا يَبْصُرُونَ**».

وقال صديق حسن القنوجي في فتح البيان (٢/٣٧٠): «**وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا** أي: بالقرآن (صم وبكم) أي لا يسمعون باسمعهم، ولا ينطقون بالسنتهم، نزلهم بمنزلة من لا يسمع ولا ينطق؛ لعدم قبولهم لما ينبغي قبوله من الحجج الواضحة والدلائل الصحيحة. وقال أبو علي: يجوز أن يكون صممهم وبكمهم في الآخرة.

«في الظلمات» أي في ظلمات الكفر والجهل والحيرة والعناد والتقليد؛ لا يهتدون لشيء مما فيه صلاحهم، والمعنى كائنين في الظلمات التي تمنع من إِبصار المبصرات، فضموا إلى الصمم والبكم عدم الانتفاع بالابصار؛ لتراكم الظلمة عليهم، فكانت حواسهم كالمسلوقة التي لا يُنتفع بها بحال.

وقال الشيخ ابن عثيمين في تفسير قوله تعالى: (يَسَاءَ أَفْعَالُ بَضِيلَةٍ وَمَنْ يَتَأْتِ بِحَمْلَةٍ عَلَى مَرْطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الأنعام:

٣٩]: «من يشاء الله يضلله» الجملة شرطية فعل الشرط «يشاء» وجوابه «يضلله»، أي: من يشاء الله إضلاله يضلله؛ لأن الأمر أمره عز وجل، لا معقب لحكمه، ولا اعتراض عليه، ولا يُسال عما يفعل، فنسال الله أن يهدينا فيمن هدى.

«يضلله» فيعمى عن الحق ولا يصل إليه. قوله: «**وَمَنْ يَتَأْتِ بِحَمْلَةٍ عَلَى مَرْطٍ مُسْتَقِيمٍ**»، ونقبر هنا «ومن يشاء» هدايته «يجعله» أي: يُصيره على «صراط مستقيم»، أي: لا عوج فيه وهو الإسلام.

قال القرطبي في تفسيره (٦/٢٧٢): «من يشاء الله يضلله، بل على أنه شاء ضلال الكافر وأراد له لينفذ فيه عدله، ألا ترى أنه قال: «ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم»، أي: على دين الإسلام لينفذ فيه فضله، وفيه إبطال لمذهب القدرية، والمشينة راجعة إلى الذين كذبوا، فمنهم من يضلله، ومنهم من يهديه.

من فوائد الآية:

الفائدة الأولى: بيان حال الذين كذبوا بآيات الله، وأنه لا سبيل إلى هدايتهم؛ لأنهم صم لا يسمعون الحق سماع انتفاع، وكذلك هم في الظلمات، وأنهم لا ينطقون بالحق.

ولو قال قائل: الذين يحرفون الآيات هل يدخلون في قوله تعالى: «والذين كذبوا بآياتنا»؟

والجواب: التحريف بمعنى التأويل، فإذا كان تأويل إنكار فربما يدخلون في هذه الآية، أما إذا كان تأويلاً عن اجتتهاد فهم لا يدخلون في هذه الآية، وليسوا بمعاندين، والتأويل يُقبل إذا كان اللفظ يحتمله، وهناك ما يرجح المعنى الآخر، لكن إذا كان لا يحتمله اللفظ فهم معاندون فيشبهون الذين جحدوا، وهل الذين لا يعملون بهذه الآيات يدخلون في الذين كذبوا بآيات الله؟

الجواب: لا يدخلون، هؤلاء مستكبرون. **الفائدة الثانية والثالثة:** أن من شاء الله هدايته اهتدى، وأن من شاء إضلاله ضل، ويتفرع على هذه الفائدة أن يلجأ الإنسان إلى ربه تبارك وتعالى يطلب الهداية، والاستعاذة من الغواية؛ لأن الأمر بيد الله، فإن قيل: وهل هذه المشيئة مشيئة مجردة بدون حكمة، أو أنها مشيئة مقرونة بالحكمة؟

فالجواب: أنها مشيئة مقرونة بحكمة، وهذا هو المتعين؛ لأن جميع أفعال الله - تبارك وتعالى - وأحكامه كلها مقرونة بالحكمة، انظر في أحكام الله، قال الله تعالى في آية المواريث: (فَرِيشَةُ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [سورة: ٦٠]، وقال تعالى في الأمور القدرية: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمًا) [الإنسان: ٣٠]، فلا مشيئة مجردة في أفعال الله وأحكامه، بل هي مقرونة بالحكمة.

فإن قيل: وهل هذه الحكمة معلومة للخلق؟ فالجواب: قد تكون معلومة، وهذا - والحمد لله - هو الأكثر، وقد تكون مجهولة لبعض الناس دون بعض، وقد تكون مجهولة لجميع الناس؛ لأنهم لا يحيطون بالله علماً.

الفائدة الرابعة: أن الصراط هو دين الإسلام مستقيم لا اعوجاج فيه ولا انحراف فيه، ولا شقاء فيه، ويضاف إلى ذلك أنه لا تناقض فيه؛ لأنه لو كان فيه تناقض لم يكن مستقيماً.

فإن قال قائل: هل للإنسان حجة على الله إذا أضله وهدى آخرين؟

فالجواب: لا؛ لأن الهداية فضل من الله عز وجل، وفضل الله يؤتيه من يشاء، والإضلال لا بد أن يكون مبنياً على حال العبد؛ لقوله تعالى: (فَلَنَأْمُرَنَّهُمْ) [الصف: ٥]، ولقوله تعالى: (فَلَنُؤَلِّقَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي جُثَثٍ مِمَّا هُمْ بِكَافِرِينَ) [الأنعام: ٩٣]، فالحاصل أن الله تعالى يضل ويهدي من يشاء لحكمة، ولا بد أن يكون الإضلال من جراء فعل العبد.

انتهت الفوائد من كلام ابن عثيمين تفسير الأنعام ص ٢١١.

واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

وَرَبُّنَا وَمَخْلَأُ ٣٣ وَحَدِيقُ عِصَا ٣٤ وَفِكَهَةٌ ٣٥ وَمَسَدٌ نَزَّ
لَا تُعْمَكُ [عبس: ٢٤ - ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: (أَفَرَأَيْتُمْ
مَا تَحْمِلُونَ ٣٦ أَثْقَالَ زُرْعَتِهِمْ أَمْ عَنْ الزَّرْعُونَ ٣٧ لَوْ سَاءَ
لِحِمْلِهِمْ حِمْلًا فَأَلْقَيْنَا تَمَكُّوْنَ ٣٨) وَإِنَّا لَنَعْمُونَ ٣٩ بَلْ عَنْ
تَحْمُؤِهِمْ ٤٠) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ٤١ ءَأَنْتُمْ أَرْسَلْتُمُوهُ
مِنَ الْمُزْنِ أَمْ عَنْ الْمُنْزِلُونَ ٤٢ لَوْ سَاءَ حِمْلُكُمْ أَجَاعًا فَلَوْلَا
تَشْكُرُونَ [الواقعة: ٦٣ - ٧٠]، وَقَالَ تَعَالَى: (أَمَرَ
خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَرْسَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَنْتُمْ بِهِ حَذِيقُونَ دَابَّ بِهَيْجَتِهِ مَا كُنَّا لَكُمْ أَلْ
تُحِبُّوا شَجَرَهَا بَوَلَّهِ مَعَ اللَّهِ نَنْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ [الفصل:
٦٠].

فَقِيلَ: فَمَا يَحْيِي اللَّهَ تَعَالَى الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ بِالْمَاءِ
كَذَلِكَ يَحْيِي مَوْتَى بَنِي آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ كَثُرَ
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هَذَا التَّشْبِيهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: (وَرَزَقْنَا مِنْ لَدُنْكَ مَاءً مُتَبَرِّكًا فَأَنْبَتَ بِهِ جَنَّتَ وَحُتَّ الْحَصِيدُ) ۝ وَاللَّهُ بِسِقَاتِهَا طَلِعَ نَبِيذٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَتْ بِهِ لَدُنْكَ كُذْلُ الْخَرْقِ) [ق:]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَيْنَ النَّفَّاثَيْنِ
أَرْبَعُونَ». قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَمِيتَ. قَالَ:
أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَمِيتَ. قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟
قَالَ: أَمِيتَ. قَالَ: ثُمَّ يَنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيَنْبُتُونَ
كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى
إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجَبُ الذَّنْبِ، وَمَنْ يَرْكَبْ
الْخَلْقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [صحيح البخاري: ٤٨١٤].

تدل على عظمة خالقهما، فهو أحق بالعبادة منهما، وهذا الذي صرح به الهدد، حين رأى أهل سبا يسجدون للشمس من دون الله، كما قال تعالى في قصة سليمان عليه السلام: (وَمَقَّدَ أَلْفَهُمْ فَأَلَّا رَأَى أَلهَهُمْ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿١٠٠﴾ أَغِيصَهُ عَذَابًا مَكِيدًا أَوْ لَأَذْنَعَهُ أَوْ يَأْتِيَنِي بَسُلْطَنٌ مُبِينٌ ﴿١٠١﴾ فَمَكَتْ عِزِّي بِعَبِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحْطُ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَايَافٍ ﴿١٠٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا عَرَّشْتُ عَظِيمٌ ﴿١٠٣﴾ وَجَدْتُهَا وَفَرَمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَخْرِجُ الْغَبَ فِي السَّوَابِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُحْفُونَ وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَثْرَتُهُمْ وَلَوْ كَانُوا أَعْيُنًا عَظِيمًا ﴿١٠٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٦﴾ [النمل: ٢٠ - ٢٦].

ومن دلائل التوحيد احياء الارض بعد موتها:

الكتاب أعجبيا والرسول عربيا: كما قال تعالى: (وَلَوْ رَكَّبْنَاهُ عَلَى نَقِصٍ مِنَ الْفَخْرِ ۖ قَفَرًا عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَتَذَكَّرُونَ) [الشعراء: ١٩٩]، فالقوم معاندون ومستكبرون، ولو جاءتهم كل آية لا يؤمنون، كما قال تعالى: (وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَعْنَاقِهِمْ لِيَأْتِيَهُمْ آيَةٌ يُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) ١١ وَتَقَلِّبْ أَعْيُنَهُمْ وَانصُرْهُمْ كَمَا كَرُّوا يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ ١٢ وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَهُهُمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ جَاهِلُونَ) [الأنعام: ١٠٩ - ١١١].

ثم بين الله تعالى فضل القرآن وبركته، وأهله الذين ينتفعون به، فقال تعالى: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبَيِّنَاتٌ) فالقرآن الكريم هدى وشفاء للذين آمنوا دون غيرهم، فهو هدى يهديهم إلى صراط الله المستقيم، وشفاء لما في صدورهم من أمراض الريب والشك، والنفاق والكفر، وهو أيضا شفاء للأبدان من الأمراض والأسقام والأوجاع، فمن كان مريضا فليضع يده على موضع الألم، وليقرأ الفاتحة، والمعوذات، يبرا بإذن الله.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمَعُودَاتِ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنْفُثَ عَلَيْهِ بِهِنَ، وَأَمْسَحَ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا، [صحيح البخاري: ٥٧٣٥].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْبَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُؤْهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ لَدَغَ سَيْدٌ أُولَئِكَ فَقَالُوا هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ زَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنْكُمْ لَمْ تَقْرُؤُوا، وَلَا نَفْعَ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جَعَلًا. فَجَعَلُوا لَهُمْ قُطْعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأَمِّ الْقُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بَرَاقَهُ، وَيَقْلُ فَبَرَا. فَاتُوا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا لَا نَأْخُذُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَسْأَلُوهُ فَنُضْحِكُ، وَقَالَ: « وَمَا أَذْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ، خُذُوهَا، وَاضْرِبُوهَا لِي بِسْمِهِمْ، [صحيح البخاري ٥٧٣٦].

فهذه بركة القرآن التي ينتفع بها المؤمنون،

أما الذين لا يؤمنون فهم منها محرومون، ولذلك قال تعالى: (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى)، فهم صَمٌّ بكم عمى، وهم مع ذلك (يناديون من مكان بعيد)، والسميع حين ينادى من مكان بعيد لا يسمع، فكيف بالأصم؟! ولذلك قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ١٢ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غُشُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [البقرة: ٦ - ٧].

ومرة ثانية يؤكد الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن موقف قومه منه هو نفسه موقف السابقين من رسلكم، فيقول تعالى: (ولقد أتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فمنهم من آمن ومنهم من كفر، كما اختلف قومك فيما جئتكم به، فانجى الله موسى والمؤمنين، واهلك الكافرين، وسينجيك والمؤمنين، وسيهلك الكافرين، فاصبر حتى يأتي الله بأمره، ف (لِكُلِّ نَبِيٍّ مُتَّبِعٌ وَسَوَفَ تَلْقَوْنَ) [الأنعام: ٦٧]، (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب).

ثم بين سبحانه غناه عن عباده، وعدله معهم، فقال: (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد):

يقول تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ)، ثوابه ونفعه، ومن عمل السيئات فعلى نفسه وزرها وضررها، والله غني عن العالمين، لا تنفعه الطاعات، ولا تضره السيئات، وهو سبحانه يقضي بينهم بالقسط، فلا يهضم حقا، ولا يحمل نفسا وزر نفس أخرى، وقد صرح ربنا سبحانه وتعالى في الحديث القدسي بما صرح به في هذه الآية من غناه وعدله:

عَنْ أَبِي إِدْرِيسٍ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيَمًا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: « يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَاهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » [صحيح مسلم ٢٥٧٧].

وللحديث بقية إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.

من فضائل الصحابة

وأقوال المتصفين فيهم عموماً وفي معارضة خصوصاً

الشيخ الدكتور

عبد المحسن العباد البدر

عيونهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتابعون رحمهم الله راوا العيون التي رآته صلى الله عليه وسلم، وأتباع التابعين رحمهم الله راوا العيون التي رأت الصحابة رضي الله عنهم، وقد كان التابعون يفرحون فرحاً شديداً ببقاء الواحد من الصحابة ويعتبرون ذلك غنيمته؛ ففي سنن أبي داود (٩٤٨) بإسناد صحيح عن هلال بن يساف، قال: «قَدِمْتُ الرُّقَّةَ، فَقَالَ لِي نَعْرُضُ أَصْحَابِي هَلْ لَكَ فِي رَجُلٍ مِّنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَبِتِ عَيْنِي، فَدَفَعْنَا إِلَى وَابِئَةٍ، فَلَتَ لِصَاحِبِي نَبْدَ فَنَبْطُرُ إِلَى دِلِهِ، فَإِذَا عَلَيْهِ فِلِسُودٌ لَّاطِنَةٌ ذَاتُ دَيْنٍ، وَيَرْسُ حُرٌّ غَيْرٌ، وَإِذَا هُوَ مَعْتَمِدٌ عَلَى عَصَا فِي صَلَاتِهِ، الْحَدِيثُ. وَوَابِئَةُ بِنُ مَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْمُعَمَّرِينَ كَمَا فِي تَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ لِابْنِ حَجَرٍ.

فضل الصحابة رضي الله عنهم:

وقد جاء في القرآن الكريم آيات دالة على فضل الصحابة رضي الله عنهم في سور الأنفال والتوبة والفتح والحديد والحشر، بل جاء في آية سورة الفتح ذكرهم والثناء عليهم في التوراة والإنجيل قبل أن يوجدوا وهل أن يأتي زمانهم قال الله عز وجل:

شَطْرَهُ، مَن رَّزَقَهُ، فَاسْتَفْطِطْ فَاسْتَوُوا
بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَأَحْرَأَ عَظِيمًا ([الفتح: ٢٩].

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد؛ فإن من المعلوم أن خير البشر الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم، وخيرهم وسيدهم خاتمهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وأمته هي خير الأمم؛ كما قال الله عز وجل: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [آل عمران: ١١٠].

وخير هذه الأمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرهم الخلفاء الراشدون الهاديون المهديون: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، فقد أكرمهم الله بالوجود في زمانه وشرَّفهم بصحبته والجهاد معه، وتلقى الكتاب والسنة عنه صلى الله عليه وسلم وإبلاغهما إلى من بعدهم؛ ومن فضائلهم حديث: «خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ بَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رواه البخاري (٣٦٥١) ومسلم (٦٤٧٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، يَغْزُو فِتْنًا مِّنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ لَهُمْ فَبِكُم مِّن رَّأْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِتْنًا مِّنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ لَهُمْ: هَلْ فَبِكُم مِّن رَّأْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ» رواه البخاري (٣٦٤٩) ومسلم (٦٤٦٧) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

والقرون الثلاثة المفضلة: قرون الصحابة والتابعين، وأتباع التابعين، فالصحابة رضي الله عنهم رأت

نماذج من كلام السلف في توقير الصحابة:

وكل ناصح لنفسه محب الخير لها عليه أن يمتلي قلبه بحبهم وتعظيمهم التعظيم اللائق بهم، وأن يكون لسانه رطباً بذكرهم بالجميل اللائق بهم، فلا يذكرهم إلا بخير، وأن يحذر من ذكرهم بأي شيء لا يليق بهم مع نظافة قلبه من الغل لهم، وهذه طريقة سلف هذه الأمة من التابعين ومن جاء بعدهم، وهذه نماذج من كلامهم الجميل:

١. الإمام مالك بن أنس (١٧٩هـ) رحمه الله، قال البغوي في شرح السنة (٢٢٩/١): «قال مالك: من يبغض أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في قلبه عليه غل فليس له حق في شيء المسلمين، ثم قرأ قوله سبحانه وتعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا) إلى قوله: (لِيَغْظِيَ اللَّهُ الْكُفَّارَ) الآية».

٢. الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) رحمه الله، قال في كتابه السنة: «ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعين، والكف عن الذي جرى بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو واحداً منهم فهو مبتدع رافضي، حُبهم سنة، والدعاء لهم قرينة، والافتداء بهم وسيلة، والأخذ بانثارهم فضيلة»، وقال: «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تاديئته وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ثم يستتبه، فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يتوب ويراجع».

٣. الإمام أبو زرعة الرازي (٢٦٤هـ) رحمه الله، روى الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية (ص: ٤٩) بإسناده إليه قال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليُبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة».

٤. الإمام أبو جعفر الطحاوي (٣٢٢هـ) رحمه الله: قال في عقيدة أهل السنة والجماعة: «ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان».

٦. الإمام أبو عثمان الصابوني (٤٤٩هـ) رحمه الله،

وفيهما أن الكفار يغاضون بهم، وفي شرح السنة للبغوي (٢٢٩/١): «وذكر بين يديه، أي الإمام مالك - رجل ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرا مالك هذه الآية: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا) إلى قوله: (لِيَغْظِيَ اللَّهُ الْكُفَّارَ) ثم قال: من أصبح من الناس في قلبه غل على أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أصابته هذه الآية»، وفيها أن الصحابة جميعاً وعدوا بالمغفرة والأجر العظيم، وحرف (من) في قوله: (منهم) لبيان الجنس لا للتبعية، والمراد أن هذا الوعد في هذه الآية لجميع الصحابة وليس لبعضهم، وقد وصف ابن الأنباري الذين قالوا: إنها للتبعية بالزندقة، قال ابن هشام في مغني اللبيب (١٥/٢): «وفي كتاب المصاحف لابن الأنباري: أن بعض الزنادقة تمسك بقوله تعالى (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) في الطعن على بعض الصحابة، والحق أن (من) فيها للتبيين لا للتبعية، أي الذين آمنوا هم هؤلاء».

وهذه الآية التي فيها كلمة (منهم) تعم الصحابة الأخيار مثلها آية المائدة التي فيها (منهم) وهي تعم الأشرار، قال الله عز وجل: **إِنَّكَ كَفَرٌ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**

بِئْسَ الْيَوْمَ لِمَسْأَلَتِهِمْ كَثُرُوا يَنْتَهَزُونَ عُقَابَ اللَّهِ (المائدة: ٧٣) فإن الوعد في آية الفتح للصحابة كلهم لا لبعضهم، والوعد في آية المائدة لكل من قال: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** لا لبعضهم، ومثل هذا الوعد للصحابة الوعد لهم في قوله تعالى: **(وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى)** [التوبة: ٩٥].

أجل فضائل الصحابة الكرام:

ومن أجل فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم أنهم الوسطة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين من جاء بعدهم، فما عرف الناس الكتاب والسنة ولا عرفوا حقاً ولا هدى إلا من طريقهم، وكل صحابي روى حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فله مثل أجور كل من عمل به إلى يوم القيامة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ ذَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»، رواه مسلم (٤٨٩٩) عن أبي مسعود الأنصاري البصري رضي الله عنه، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ إِثْمِ أَتَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ إِثْمِهِمْ شَيْئاً» رواه مسلم (٦٨٠٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

صلى الله عليه وسلم: (سمع الله لمن حمده)، فقال خلفه: ربنا ولك الحمد، فقيل: أيهما أفضل هو أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لتراب في منخري معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز، البداية والنهاية (٤٤٩/١١).

٣. المعافى بن عمران الموصلي (١٨٥هـ) رحمه الله، قال وقد سئل: أيهما أفضل معاوية أم عمر بن عبد العزيز؟ فغضب، وقال للسائل: «تجعل رجلاً من الصحابة مثل رجل من التابعين؟ معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله» البداية والنهاية (٤٥٠/١١).

٤. الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، قال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله وسئل عن رجل انتقص معاوية وعمرو بن العاص، يقال له رافضي؟ فقال: «إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيثة سوء، ما انتقص أحد أحداً من الصحابة إلا وله داخله سوء» البداية والنهاية (٤٥٠/١١).

٥. أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي (٢٤١هـ) رحمه الله، قال: «معاوية ستر لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه، البداية والنهاية (٤٥٠/١١).

٦. الإمام أبو زرعة الرازي رحمه الله، قال له رجل: إني أبغض معاوية، فقال له: ولم، قال: لأنه قاتل علياً، فقال له أبو زرعة: (ويحك إن رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فإيش دخولك أنت بينهما؟ رضي الله عنهما) البداية والنهاية (٤٢٧/١١).

٧. الإمام أبو عبد الرحمن النسائي (٣٠٣هـ) رحمه الله، قال كما في ترجمته في تهذيب الكمال للمزي، وقد سئل عن معاوية فقال: «إنما الإسلام كدار لها باب، فباب الإسلام الصحابة، فمن أذى الصحابة إنما أراد الإسلام، فمن نقر الباب إنما يريد دخول الدار؛ قال: فمن أراد معاوية فإنما أراد الصحابة».

٨. الإمام ابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) رحمه الله، قال في كتابه لمعة الاعتقاد: «ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، وأحد خلفاء المسلمين رضي الله عنه».

وقد كتبت رسالة بعنوان: «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم» طبعت مفردة وطبعت ضمن مجموع كتبي ورسائلي (٢٠٥، ١٩١/٤)، ورسالة بعنوان: «من أقوال المنصفين في الصحابي خليفة معاوية رضي الله عنه» طبعت مفردة وطبعت ضمن مجموع كتبي ورسائلي (٢٤٤، ٣٩٧/٦).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال في كتابه عقيدة السلف وأصحاب الحديث: «ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتطهير السنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم أو نقصاً فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالة لكافتهم».

٧. الإمام أبو المظفر السمعاني (٤٨٩هـ) رحمه الله، نقل الحافظ في الفتح (٣٦٥/٤) عنه أنه قال: «التعرض إلي جانب الصحابة علامة على خذلان قاعله، بل هو بدعة وضلالة».

٨. شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) رحمه الله، قال في كتابه العقيدة الواسطية: «ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم والسننهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله في قوله: (وَأَلْبِسْكُمْ ذُحًى مِّنْ بَدِيعِهِمْ يَفْقَهُوْنَ رَبَّنَا أَفْرِغْ لَكَ وَإِخْوَانَا أَلْبِسْ سَمْعُونا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَعْمَلْ فُلُوساً عَلَيَّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [الحشر: ١٠]، وطاعة للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)» (صحيح البخاري ٣٦٧٣).

٩. الشيخ ابن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ) رحمه الله، قال في شرح الطحاوية (ص: ٦٩٦): «فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين».

١٠. الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) رحمه الله، قال في كتابه فتح الباري (٣٤/١٣): «واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من حروب ولو عُرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً وأن المصيب يؤجر أجرين».

تخدير السلف من الوقوع

في معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما:

وكل ما جاء من أحاديث وأثار في فضل الصحابة عموماً فإن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما داخل فيها، وقد جاء عن بعض السلف أثار مختصة به، وهذه نماذج منها:

١. الخليفة عمر بن عبد العزيز (١٠١هـ) رحمه الله، قال إبراهيم بن ميسرة: «ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنساناً قط إلا إنساناً شتم معاوية فإنه ضربه أسواطاً» البداية والنهاية لابن كثير (٤٥١، ٤٥٠/١١).

٢. الإمام عبد الله بن المبارك (١٨١هـ) رحمه الله، قال: «(معاوية عندها مخنة، فمن رأيها ينظر إليه شراً اتهمناه على القوم، يعني الصحابة)، وسئل عن معاوية، فقال: «ما أقول في رجل قال رسول الله

الحمد لله... هكذا ديننا

باب السنة

د. مرزوق محمد مرزوق

اعداد

(بالعقب)، ط ٣/ دار ابن كثير، تحقيق: د. مصطفى البغا.

٢- ورواه مسلم في صحيحه في كتاب التوبة (٢١٠٩/٤)، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣- ورواه النسائي في (المجتبى) في كتاب الجنائز (١١٣/٤) برقم (٢٠٨٠) ط ٢/ مكتب المطبوعات الإسلامية، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

٤- ورواه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد (٢ / ١٤٢١) باب ذكر التوبة ط/ دار الفكر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

ثانياً: رجال الإسناد باختصار

١- عثمان بن أبي شيبة: هو عثمان بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم العبسي الكوفي، قال ابن حبان في الثقات: كان حسن الاستقامة في الحديث، وقال الخطيب: كان ثقة، وقال أحمد بن محمد بن بكر: مات سنة ٢٥٦هـ. (انظر: تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١١٢)، ط/ دار الفكر.

٢- جرير: هو ابن عبد الحميد بن قرط الضبي الكوفي الرازي (يعني: نزيل الري) وقاضيه، ثقة صحيح الكتاب، مات سنة ثمان وثمانين وله إحدى وسبعون سنة. (انظر: تقريب التهذيب ج ١ ص ١٣٩).

٣- منصور: هو ابن المعتمر بن عبد الله السلمي أبو عتاب بمثناة ثقبلة ثم موحد، الكوفي، ثقة ثبت، وكان لا يدلّس من طبقة الأعمش، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة. (تقريب التهذيب ج ١ ص ٥٤٧).

٤- ربعي بن حراش: بكسر المهملة وآخره معجمة أبو مريم العبسي الكوفي ثقة عابد مخضرم من الثانية، مات سنة مائة، وقيل غير ذلك. (تقريب التهذيب ج ١ ص ٢٠٥).

٥- حذيفة: ابن اليمان الصحابي الجليل، وانظر ترجمته في «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (١ / ٩٨-٩٩) وغيره من المصادر.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واله وصحبه ومن وآله وبعد:

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان رجل مراً كان قبلكم يسيء الظن بعمله، فقال لأهله: إذا أنا مت فخذوني فذروني في البحر في يوم صائف، ففعلوا به، فجمعه الله ثم قال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: ما حملني إلا مخافتك، فغفر له».

مقدمة لا بد منها

بالتأمل في حديث الباب، في فوائده من خلال شروح أهل العلم عليه اخترت للمقالة عنواناً هو: (الخوف من الله من منازل المؤمنين)، وهو مستفاد من تبويب الإمام البخاري على الحديث في كتاب الرقاق، ثم اخترت عنواناً آخر يناقش الأول، وهو: (الخوف من الله من سمات التائبين)، ثم وجدت أن الحديث أصل بنفسه كضابط من ضوابط العذر بالجهل، فقلت: (العذر بالجهل والرد على بدعة التكفير)، أو (أهمية القلب في أعمال العبد)، ثم استفدت عنواناً من تبويب الإمام مسلم للحديث وهو: (رحمة الله غلبت غضبه)، كل هذا مستفاد من حديثنا هذا، ثم هداني الله إلى عنوان يجمع هذا كله بل أكثر منه وهو: (الحمد لله.. هذا ديننا)، فالحمد لله أن ديننا جمع كل هذه المحاسن وأكثر منها في حديث واحد، فالسنة سنة يا عباد الله.

أولاً: تخريج النص السالف، وعزو باقي الروايات الأخرى له إلى مصادرها:

١- رواه البخاري في كتاب الرقاق (٥ / ٢٣٧٧) باب الخوف من الله قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن ربعي عن حذيفة وذكر الحديث، ورواه في كتاب الأنبياء (٣ / ١٢٧٢) باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وفي كتاب التوحيد (٦ / ٢٧٢٢) باب قول الله تعالى (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ)، (إنه لقول فضل (حق) وما هو بالهزل).

ثالثاً: الشرح

١- قوله: (كان رجل ممن كان قبلكم): يعني من بني إسرائيل (من أجل هذا ذكره البخاري في ذكر بني إسرائيل). (عمدة القاري ٢٥٦/٣٣).

فائدة: وهل شرع بني إسرائيل شرع لنا؟ سيأتي الجواب عن هذا فيما يستفاد من الحديث.

٢- قوله: (يسى الظن بعمله): يعني بعمله الذي كان معصية، ففي صحيح ابن حبان من طريق ربعي بن حراش أنه كان نباشاً للقبور يسرق أكفان الموتى، وعند أبي عوانة من حديث حذيفة عن أبي بكر الصديق أنه أخر أهل الجنة دخولا، فيكون آخر من يخرج من النار، وفي المصابيح أنه كان يقول: أجري من النار مقتصرًا على ذلك (شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٧٥/٩).

٣- قوله: (فقال لأهله: إذا أنا مت، فخذوني، فذروني في البحر): بضم الذال من الذر وهو التفريق، ويرى بفتح الذال من التذرية، يقال: ذرت الريح الشيء ومنه (تذروه الرياح). (عمدة القاري ٢٥٦/٣٣).

٤- قوله: (في يوم صائف): أي حارّ بتشديد الراء من الحرارة (وفي حديث أبي سعيد (في يوم عاصف) أي عاصف ريحه، وفي رواية مسلم (في ربح عاصف) (الفتح ٥٢٢/٦).

٥- قوله في بعض الروايات (فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً لم يعذبه أحدًا من خلقه): اختلف العلماء في توجيه هذه اللفظة، واصوبها أن الرجل لم يكن عالماً بجميع ما يستحقه الله من الصفات، ولا مدركاً للقدرة الإلهية على وجه التفصيل كما قاله شيخ الإسلام، وسيأتي بيانه إن شاء الله.

٥- (ففعلوا به): ما أمرهم به.

٦- (فجمعه الله) عز وجل، وفي رواية (فامر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت)، وفي حديث سلمان الفارسي عند أبي عوانة في صحيحه فقال الله له: (كن فكان كاسرع من طرفة العين) (الفتح ٥٢٢/٦).

٧- (ثم قال) الله تعالى له: (ما حملك على الذي صنعت؟) قال (الرجل): (ما حملني عليه إلا مخافتك، فغفر له). (إرشاد الساري ٢٧٥/٩).

رابعاً: ما يستفاد من الحديث

١- الخوف من الله من منازل السائرين إليه:

ولقد بوب الإمام البخاري لهذا الحديث في كتاب الرقاق بباب الخوف من الله، يقول الحافظ ابن حجر في الفتح (٣١٣/١١) «الخوف من الله من المقامات

العلية وهو من لوازم الإيمان، قال الله تعالى: (وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران: ١٧٥)». يقول الشيخ السعدي: في هذه الآية دليل على وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله. (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٢٩٤/١ - ٢٩٥).

حتى لا يغفل الأمر

وحتى لا يختلط الأمر بين المشروع والممنوع من الخوف نذكر أقسامه وانظره في: (القول المفيد على شرح كتاب التوحيد، لابن عثيمين: ١٦٦/٢).

١- خوف العبادة، والتذلل، والتعظيم، والخضوع، وهو ما يسمى بخوف السر. والذي يكون معه اعتقاد النفع والضرر، وهذا النوع لا يجوز صرفه لغير الله. ب- الخوف الجبلي، كالخوف من عدو، أو نحو ذلك. فهذا النوع يأخذ من الأحكام بحسب حال الخائف، فمنه ما هو محرم إن حمل على ترك واجب، أو فعل محرم، بغير ضرورة تستلزم ذلك.

ومنه ما هو مباح، كما حصل لموسى عليه السلام: (خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) (القصص: ٢١)، وقد يكون واجبا إذا كان يتوصل به إلى إنقاذ نفسه، وكلا القسمين السابقين مشروع.

فائدة وحوار لبيان الممنوع من الخوف

أما الممنوع من الخوف فهو نوع غالي فيه صاحبه، حتى صار مرضاً فقطع صاحبه عن السعي، وأقعدته عن الفضائل المطلوبة، والأعمال المحبوبة عند الله، فخرج الخوف بهذا عن كونه مشروعاً وصار مذموماً ممنوعاً وصاحبه يخشى عليه (انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لابن رجب: ٢٠).

«الخوف ليس مقصوداً لذاته، بل هو مقصود لغيره (قصد الوسائل)» (انظر: مدارج السالكين: ٥١٤/١).

والناظر إلى حال الصبابة. رضي الله عنهم. يرى أن الخوف قد كان غالباً عليهم؛ إذ لم يخف من الله. عز وجل. بعد النبئين أحد مثلهم، ومع هذا لم يظهر عليهم شيء من دعاوى الغالين، مع عدم تفريطهم في الخوف من رب العالمين؛ فلم يؤثر ذلك عليهم، لا في قطع كسب وعيش، ولا في إقعاد عن فضل عمل وعبادة؛ وذلك لقوة علمهم بالله؛ فقوة العلم بالله تورث شدة الخوف منه.

ولقد أدهشني حوار دار بيني وبين أحد الأساتذة الذين أكن لهم الاحترام ولولا أن شرع الله - خاصة وإن تعلق الأمر بالعقيدة - لا مجاملة فيه ما ذكرت هذا الحوار (مختصراً له): ذكر استاذنا أمامي مرة

من أجل هذا نقول: هذا الحديث وإن كان من شرع من قبلنا إلا أنه شرع لنا؛ لما سبق ذكره، بل وزيادة عليه أنه سبق وقد أقره النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- العذر بالجهل والرد على بدعة التكفير
من أهم ما يستفاد من هذا الحديث أنه يقرر أصلاً مهماً من أصول أهل السنة والجماعة، وهو أنهم يعذرون الجاهل بجهله، ولا يُعَيَّنُونَ بالكفر إلا بعد تحقق شروط في هذا المعين وانتفاء موانع تمنع من تنزيل الحكم عليه، ذكرها أهل العلم بالتفصيل في مظانها

واكتفي في عرض القضية مختصرة من خلال الكتاب وصحيح السنة وكلام السلف لاسيما شيخ الإسلام ابن تيمية المفترى عليه:

١- قال تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) [الإسراء: ١٥].

ب- واكتفي في السنة بحديث الباب، والنصوص في هذا كثيرة، والحمد لله.

ج- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٢٢٩/٣): «هذا مع أنني دائماً - ومن جالسني يعلم ذلك مني - أنني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معينٌ إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية، التي من خالفها كان كافراً تارةً، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإنني أقرر أن الله قد عذر لهدى الأمة خطاياهم. وذلك بعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحدٌ منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصية..»

وكنْتُ أبينُ أنَّ ما نُقِلَ عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا، فهو أيضاً حق، لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين.. والتكفير هو من الوعيد؛ فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام، أو نشأ ببداية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده مُعارض آخر، أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً، وكنْتُ دائماً أنكر الحديث الذي في «الصحيحين» في الرجل الذي قال: «إذا أنا مت فاحرقوني، ثم أسحقوني، ثم نروني في يوم، فوالله لئن قبر الله علي لعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين، ففعلوا به ذلك؛ فقال الله: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك، فغفر له»

صاحب كتاب (طبقات الصوفية) مادحاً له، فقلت له: ليس هو القائل في حق فلان: «وكان من كرامته أنه رضي الله عنه يمشي عارياً»؟

فقال استاذ الحديث الذي أحترمه: وماذا في هذا إنه من شدة حبه لله وخوفه منه مشى عرياناً. فقلت متعجباً: ألا يوجد واحد من الصحابة أحب أو خاف من الله كما فعل هذا الولي؟ واختصر كلامي تاركاً الجواب للقارئ الحبيب؛ لأنني اظن أن تقرير البديهيات لا يحتاج إلى هذه المناقشات.

وخلاصة القول: إن الخوف المطلوب هو ما كان عوناً على التقرب إلى الله بفعل ما يحبه، وترك ما يكرهه، ومتى صار الخوف من الله مانعاً من المخالفة، وحافزاً للقربى، فقد انعكس المقصود منه.

وكان يحسن بنا أن نذكر نماذج من أحوال سلفنا في خوفهم من الله، لكنني ولضيق المقام أحيلك إليها الحبيب إلى ما كتبه أسلافنا كابن رجب في (التخويف من النار والتحذير من دار البوار) لتطلع فيه على حال هؤلاء.

٢- شرع من قبلنا شرع لنا؛ ما لم يرد في شرعنا ما يرد:

وهي مسألة مختلف فيها، والراجح، والله أعلم، هو قول الجمهور وهو أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما يخالفه، واستدلوا بأدلة كثيرة من أقوالها:

١ - أن الله عز وجل لما ذكر الأنبياء في سورة الأنعام ختم الآيات بقوله: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)، والهدى هنا عام؛ لأنه مفرد مضاف فيشمل جميع الهدى ما لم يرد خلافه.

ب - حديث أنس قال: إن الربيع وهي ابنة النضر كسرت ثنية جارية، فطلبوا الأرض (أي: طلب أهل الربيع أن يدفعوا لأهل الجارية الدية)، وطلبوا العفو (مقابل ما سيدفعون)، فأبوا (أي: أهل الجارية) فأتوا النبي، فأمرهم بالقصاص، فقال أنس بن النضر: أتكسر ثنية الربيع يا رسول الله؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتهما. فقال: «يا أنس كتاب الله القصاص» فرضي القوم وعفوا فقال النبي: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره» رواه البخاري (٢٧٠٣).

وكتاب الله المراد قوله تعالى: (وَكَيْفَ أَتَيْنَاهُ بِآنْتَقَسَ بِالْأَنْفِ وَالْأَمِينِ وَالْأَلْفِ بِالْأَنْفِ) [سورة المائدة: ٤٥] الآية، وهي في بني إسرائيل، وهذا هو تفسير جمهور شراح الحديث.

لسهل عليه عذر غيره، وقد اختلف فيه العلماء، فمنهم من رأى الاستحباب. قال ابن القيم: (أما سوء الظن بالنفس فإنما احتاج إليه: لأن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش، ويلبس عليه، فيرى المساوي محاسن، والعيوب كمالات).

فعين الرضى عن كل عيب كليله

كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولا يسيء الظن بنفسه إلا من عرفها، ومن أحسن ظنه بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه). «انظر: مدارج السالكين» (١/١٨٩)،

ومنهم من رأى الكراهة: كما نقله الماوردي رحمه الله في أدب الدنيا والدين (١/٢٣٤-٢٣٥).

- ومنهم من قال بالموازنة بين سوء الظن وحسن الظن. (ينبغي على المرء أن - يكون في التهمة لنفسه معتدلاً، وفي حسن الظن بها مقتصدًا، فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها؛ فأودعها ذلة المظلومين، وإن تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها امنها؛ فأودعها تهاون الأمنين. ولكل ذلك مقدار من الشغل، ولكل شغل مقدار من الوهن، ولكل وهن مقدار من الجهل). «البيان والتبيين» لأبي عثمان الجاحظ (١/٦٤).

قلت: والموازنة -والله أعلم- هي المنهج الوسط الأنسب لأحوال الناس.

فائدة أخيرة: هل يعد الندم توبة كما فعل هذا الرجل؟

الجواب: إن مجرد الندم لا يعد توبة، يقول ابن القيم في مدارج السالكين (١/١٨٢): (وشرائط التوبة ثلاثة: الندم، والإقلاع، والاعتذار، فحقيقة التوبة هي الندم على ما سلف منه في الماضي والإقلاع عنه في الحال، والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل).

والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة؛ فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلع ويعزم، فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة.

ولما كان متوقفاً على تلك الثلاثة جعلت شرائط له). إذن ومما تقدم فإن الندم هو جزء من التوبة وشرط من شروطها، ولا يقوتنا أن نذكر بما ورد في صحيح ابن ماجه برقم (٣٤٢٩) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الندم توبة)، والمراد أنه أول مراحل التوبة، والله أسأل كما رزقنا ديناً وسطاً قويمًا أن يتوب علينا ويهديننا صراطاً مستقيماً، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

فهذا رجل شك في قدرة الله، وفي إعادته إذا نرى: بل اعتقد أنه لا يعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين؛ لكنه كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه؛ فغفر له بذلك.

وهال أيضاً (١٦٥/٣٥): «واصل ذلك: أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع، يقال: هي كفر قولاً، يطلق كما دلت على ذلك الدلائل الشرعية؛ فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله، ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر، حتى يثبت في حقه شروط التكفير، وتتقوى موانعه... إلى أن قال: «فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة؛ كما قال الله تعالى: (إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) [النساء: ١٦٥]».

د- ومن العلماء المعاصرين: يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٦/ ١٦٣): وهذه المسألة - أعنى مسألة العذر بالجهل - مسألة عظيمة شائكة، وهي من أعظم المسائل تحقيقاً وتصويراً، ومما زاد الأمر صعوبة كثرة المؤلفات فيها من جميع المناهج وكل واحد يتبنى رأيه واعتقاده، وبعضهم يستدلون بادلة ليس لها علاقة بالقضية أصلاً، ومنهم من يحملون كلام السلف محملاً خطأ، ومنهم من لا يفرقون بين التكفير المطلق وتكفير المعين، ومنهم من يأتي بنصوص ويترك النصوص الأخرى، ومنهم من يأتي بأقوال للعلماء ويترك أقوالهم الأخرى وهكذا، وغير ذلك من التخبط البعيد عن المنهج العلمي.

نصيحة واجبة:

هذا، وانصح نفسي وإخواني أن نلتزم العذر لمن خالف الحق الذي نعتقده؛ حتى تقام الحجة بضوابطها المعروفة لدى أهل العلم، وأن نعطي للمسألة حجمها من القراءة والبحث بهدوء وبلا استعجال، وأن نعلم أننا دعاة ولسنا قضاة، وأن الداعية حريص على تاليف القلوب لا تنغيرها، دعوتنا هي توحيد الناس على كلمة التوحيد، وأن واجبنا تعليم الناس وليس تكفيرهم وتبديعهم، وأننا بهذا لا نمنع القضية، ولكننا نناقش مسألة مهمة قد يؤدي التقصير في عرضها إلى تدمير المجتمع، والله المستعان.

٤- حكم سوء ظن العبد بنفسه

وهو متعلق بالفائدة السابقة فلو اتهم المرء نفسه



دور البخاري في تحقيق مصنف الأحاديث الضعيفة

على حسنين

صالح

٢٠٠٧

٢٠٠ «لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبضي».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٦٩/١) من حديث الزهري مرفوعاً، والزهري هو محمد بن مسلم بن شهاب من الطبقة الرابعة، وهي طبقة تلي الوسطى من التابعين، جُل روايتهم عن كبار التابعين ذكره الحافظ في «التقريب» (٢٠٧/٢)، وبما أن الزهري رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهناك سقط في الإسناد، والحديث مرسل، وعلة أخرى محمد بن عمر الواقدي روى عنه كاتبه محمد بن سعد، وروى عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي الزهري كما في هذا السند، والواقدي قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: كذاب، وقال أبو حاتم: يضع الحديث، وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه ذكره في «الميزان» (٧٩٩٣/٦٦٢/٣) فالحديث باطل بالسقط في الإسناد والطعن في الراوي.

٢٠١ «علمني جبريل عليه السلام الصلاة، فقام فكبر لنا، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فيما يجهر به في كل ركعة».

الحديث لا يصح: أخرجه الدارقطني في «السنن» (٦٤٠/١) (ح ١١٥٧) من حديث خالد بن إلياس عن المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً واقته خالد بن إلياس، قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (١٧٢): «مبني متروك الحديث». قلت: وهذا المصطلح عند النسائي له معناه، فقد بينه الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص ٧٣) قال: «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ. بل قال ابن حبان في «المجروحين» (٢٧٥/١): «يروى الموضوعات عن الثقات حتى يسبق إلى القلب أنه الواضع لها؛ لا يحل أن يكتب حديثه إلا على جهة التعجب». اهـ.

قلت: ولقد خرَّج العلامة الزيلعي أحاديث الجهر بالبسملة في «نصب الراية» (٤٧٨/١) ثم قال: وبالجمله فهذه الأحاديث كلها ليس فيها صريح صحيح.

ونقل ذلك الشيخ الألباني في «الضعيفة» (٤٦٨/٥) قال: «ولا يصح في الجهر بالبسملة حديث، وكل ما ورد في الباب لا يصح إسناده، وفي الصحيح خلاف ذلك، فراجع نصب الراية». اهـ.

٢٠٢ «ما من عبد مسلم ولا أمة مسلمة قرأ في يوم وليلة مائتي مرة: «قل هو الله أحد الله الصمد، إلا غفر الله له خطايا خمسين سنة».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح ٦٩٤) من حديث أنس مرفوعاً، واقته زيادة بن أبي عمار، قال البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٢٤): «زيادة بن ميمون أبو عمار البصري صاحب الفاكهة سمع أنساً متروك». اهـ.

وقال النسائي في «المتروكين» (٢٢٢): «متروك» وقال يزيد بن هارون: «كان كذاباً» وقال أبو زرعة: «واهي الحديث، ذكره الذهبي في «الميزان» (٢٩٦٧/٩٤/٢) وقال زياد بن ميمون الثقفي الفاكهي عن أنس، ويقال زياد، أبو عمار البصري، وزيد بن أبي عمار، وزيد بن أبي حسان يلدسونه لئلا يعرف في «الحال». اهـ. وهذا يسمى بتقليس الشيوخ، وهو أن يروي عن شيخ حديثاً سمعه منه فيسميه، ويكنيه أو ينسبه أو يصفه بما لا يُعرف كي لا يُعرف. كذا في «علوم الحديث» النوع (١٢) لابن الصلاح.

٢٣ - إن الله ليس ببارك أحدا من المسلمين يوم الجمعة إلا غفر له.

الحديث لا يصح، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ح/٤٨١٤) من حديث أنس مرفوعا، وأورده الذهبي في «الميزان» (٢٩٦٧/٩٤/٢) في ترجمة زياد بن ميمون الثقفي الفاكهي، ويقال له زياد، أبو عمار كما بينا أنفا وهو افته، وجعله من مناكيره وهو كذاب.

٢١٤ - إن الله لا يحب الموحدين على بقع إيمانهم ويردهم إلى الجنة خلودا دائمين.

الحديث لا يصح، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥٤/٨) من حديث أنس مرفوعا، وافته قطن بن صالح ذكره الحافظ الذهبي في «الميزان» (٦٩٠/٣٩١/٣) قال أبو الفتح الأزدي: كذاب.

٢١٥ - كاد الفقر أن يكون كفرا، وكاد الحسد أن يكون سبق القدر.

الحديث لا يصح، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٥٣/٨) من حديث أنس مرفوعا، وافته يزيد الرقاشي وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (ح/١٣٤٦) وقال: «هذا حديث لا يصح ويزيد الرقاشي لا يعول على ما يروي» اهـ. قال النسائي في «المتركون» (٦٤٢) يزيد بن أبان الرقاشي متروك بصري. اهـ.

٢١٦ - كاتم العلم تلعبه كل شيء حتى الحوت في البحر، والطير في السماء.

الحديث لا يصح، أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (ح/١٢٥) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا، وافته يحيى بن العلاء، نقل الحافظ الذهبي في «الميزان» (٩٥٩١/٣٩٧/٤) عن الإمام أحمد بن حنبل قال: يحيى بن العلاء كذاب يضع الحديث.

٢١٧ - إذا رأيتم الحربى فكمروا فإن المتمر بلفظه.

الحديث لا يصح، أخرجه ابن السنن في «عمل اليوم والليلة» (ح/٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا، ومدار هذه الأحاديث الأربعة على القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمري وهو الأفة، قال الإمام أحمد بن حنبل: ليس بشيء كان يكذب ويضع الحديث. وقال يحيى: ليس بشيء كذاب، وقال أبو حاتم النسائي: متروك، ذكره الذهبي في «الميزان» (٦٨١٢/٣٧١/٣)، وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (١١٢/٥) من حديث ابن عباس مرفوعا وفيه عمرو بن جميع قال يحيى: «كان كذابا خبيثا» وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٥١/٤) ولبسه ابن لهيعة كما بينه الحافظ العجلي في تخريجه لهذا الحديث في «الضعفاء» (٨٦٧/٢٩٣/٢)، وابن حبان في «المتركون» (١١/٢).

٢١٨ - من لم يستغن بآيات الله فلا اغناء الله.

هذا الحديث لا يصح، أورده الغزالي في «الإحياء» (١٧٢/٤) مرفوعا، وقال الحافظ العراقي في «المغني» (١٧٢/٤ - إحياء): لم أجده بهذا اللفظ.

٢١٩ - ليس بمفسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها.

الحديث لا يصح، أخرجه الطبري في «الكبير» (١٨٢/٩٣/٢٠)، وابن السنن في «عمل اليوم والليلة» (ح/٣)، والبيهقي في «التعجب» (ح/٥١٢، ٥١٣) من حديث معاذ مرفوعا، وافته يزيد بن يحيى القرشي، قال الذهبي في «الميزان» (٩٧٦٢/٤٤١/٤): «لا يُعرف»، وقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١١٦٤/٢٧٢/٩): سالت أبي عنه فقال: ليس يقول الحديث. وهذا الحديث كان قد صححه الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة»، و«صحيح الجامع» (ح/٥٤٤٦)، ثم تراجع العلامة الألباني رحمه الله وأورده في «الضعيفة» (٤٩٨٦)، وقال: «واعلم أنني كنت اغتررت برهة من الزمن بكلام المنذري والهيثمي المتقدمين قبل أن اطلع على إسناد الطبراني والبيهقي، وأوردت الحديث في الكتاب الآخر «الصحيحة» و«صحيح الجامع»، فلما وقفت على إسنادهما وتبين أن مداره على يزيد القرشي عند كل من أخرجه، رجعت عن ذلك كله، وكتبت على هامش «الصحيح» أن يُنفل إلى «الضعيف»، وشرحت السبب هنا كما ترى، والهادي هو الله. اهـ.

الحمد لله، الحمد لله عنت الوجوه لجلال وجهه، لا إله إلا هو عجزت العقول عن إدراك كنهه، وقامت البراهين على نفي مثله وشبهه، أحمده سبحانه وأشكره الفضل والسير بيديه، والعمل والرعاء إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له صرف لتؤثر السبل بحكمته، وعمهم بخوده ورحمته، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عند الله ورسوله بعدة بالإيمان مُنابياً، وإلى جنة الله ورضوانه داعياً، صلى الله وسلم وبارك عليه، لا خير إلا دل عليه، ولا شر إلا حذر منه، وعلى اله وأصحابه أفضل صحب وخير ال صلاه وسلاما يبلغان من ربنا الآمال، والثابطين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً مزيداً إلى يوم المال.

أما بعد: فأوصيكم = أيها الناس = ونفسي بيقوى الله، فانفوا الله - رحمكم الله - واعلموا أن لكم علماً فانتهوا إلى علمكم، ولعم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم.

معدودية مراحل عمر البشر:

أيها الإخوة: أيام العُمر مراحل معدودة، إلى وجهة مقصودة، للنفوس مواعيد تطلّب أجالها، وأعمار مُقدرة لأمالها، وأجال مؤخرة لميعادها، فلا استزادة ولا استنقاص، ولا فوات ولا مناص، إنما هي أمان مَضروبة، وأنفاس محسوبة، لله وحده البقاء، وللخلاق الفناء: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَسْطُمْ عَنْ مَقَامِهِ أَحَدٌ عَنِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ فَاعْمَلُوا وَلَا تَكُونُوا مِثْلَ الَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ) [الحشر: ١٨، ١٩].

إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين:

أيها المسلمون: اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له، أرايتم لو أن رزاق الناس بأيدي البشر؛ فكم سيقع من الظلم والتظالم، والبقى والفساد. قاله لو ترك ذلك إليهم لظلم بعضهم بعضاً، ولبقى بعضهم على بعض، بل لنسي بعضهم بعضاً، ولغفل بعضهم عن بعض! فسبحان الرزاق الكريم ذي القوة المتين، لا يظلم ولا يبعي، ولا ينسى ولا يغفل: بل يتفضل وينعم. ويحسن ويرحم، وهو اللطيف الخبير: (وَرَزَقْنَاكَ مَا يُرِيدُ وَاللَّهُ يَسَّرُ لَكَ كُلَّ امْرَأَةٍ) [الذاريات: ٢١-٢٣].



مركز الحرمين

الأسباب الجالبة للرزق

الشيخ الدكتور صالح بن حميد

إعداد

أحمد بن حنبل

تمكة



السَّكَمَةُ عَلَيْكُمْ مَذَرَارًا وَرِزْقَكُمْ قُوَّةٌ إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
مَحْرُومِينَ (هود: ٥٢).

وورد في الحديث: «من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب». رواه أبو داود، وإسناده صحيح.

يقول القرطبي رحمه الله: «وهذا دليل على أن الاستغفار يستجلب به الرزق، ويستنزل به الغيث».

استغفار يتواطأ فيه القلب مع اللسان غير مُصِرٍّ على ذنب، ولا عازم على عود.

ومن الأسباب الجالبة للرزق والمباركة فيه:

٣- حُسن التوكل على الله:

ومن أعظم الأسباب -عباد الله-: حُسن التوكل على الله، فيتعلق القلب بمولاه، ويُفوض أمره إليه؛ فمن توكل على الله كفاه ما أهمه، ودفع عنه ما ضره وأغمه، ورزقه من حيث لا يحتسب، وفي الحديث: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خُمَاضاً وتروح بطاناً». رواه أحمد، والترمذي، وهو صحيح الإسناد.

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: «هذا الحديث أصل في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق».

قال بعض السلف: «توكل تُسق إليك الأرزاق بلا تعب ولا تكلف».

ومما ينبغي أن يُعلم في هذا المقام -عباد الله-: أن التوكل لا يعارض الأخذ بالأسباب، والاجتهاد في الطلب، بل قال أهل العلم: «إن السعي في الجوارح واقتفاء الأسباب طاعة لله، والتوكل بالقلب إيمان به -سبحانه-».

وقد قال -عز شأنه- في طلب الأسباب: (هُوَ الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَنْشَأَ فِي مَكَائِهَا زُرُوعًا) [المالك: ١٥]. وقال -عز شأنه-: ((...)) [المال: ١٥].
 الْأَرْضِ يَنْتَهِونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَمَا زُودُوا إِلَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ [المزمل: ٢٠].

يقول القرطبي رحمه الله: «سوى الله في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على النفس والعيال والإحسان والإفضال»، قال رحمه الله: «فكان دليلاً على أن الكسب بمنزلة الجهاد؛ لأنه جمعه معه».

وعمر -رضي الله عنه- يقول: «لا يَغْدُ أَحَدُكُمْ عَنْ طَلَبِ الرِّزْقِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي؛ فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ

معاشر المسلمين: إن هم الرزق قد أكل قلوباً، وأشغل عقولاً. في بعض الناس هلعٌ وجزعٌ حينما يسمع بالتغيرات الاقتصادية، والتقلبات المالية، والمشكلات في أمور المعاش، وكانهم لا يعلمون أن الله -عز شأنه- قد تكفل بالرزق لجميع خلقه إنسهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم، قويهم وضعيفهم، كبيرهم وصغيرهم: ((...)) [هود: ٦].
 (وَصَكَانٌ مِّنْ تَأَنٍّ لَا تَحِيلُ رِزْقَهُ) [العنكبوت: ٦٠].

انشغال عقول الناس بطلب الرزق:

عباد الله: لا يستبطن أحد رزقه، فلن يخرج من هذه الدنيا أحد حتى يستكمل رزقه وأجله، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب.

لقد كتب الله رزق ابن آدم وقدره قبل أن يأتي إلى هذه الدنيا؛ عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويُؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وشقي وسعيد...». الحديث. متفق عليه.

الأسباب الجالبة للرزق:

معاشر المسلمين، ومعاشر الأحبة: وهذا عرض في بعض الأسباب الجالبة للرزق، هدى إليه الرب، ودل عليها الشرع:

١- أما أول ذلك وأولاه: فتقوى الله -عز وجل-؛ فمن اتقى الله ولزم مرضاته رزقه من حيث لا يحتسب، وعذ من الله حق: ((...)) [الطلاق: ٢، ٣].

يرزقه من جهة لا تخطر له على بال، ومن حيث لا يرجو ولا يؤمل: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ مَأْشُوا وَأَنْتُمْ مُنْعَمًا عَلَيْهِمْ بِرِزْقِنَا مِنَ السَّكَمَةِ وَالْأَرْضِ) [الأعراف: ٩٦].
 يتقي العبد ربه ظاهراً وباطناً، يتقي الله في نفسه وأهله وماله وعمله وفي شأنه كله.

ومن الأسباب -حفظكم الله-:

٢- كثرة الاستغفار والمداومة عليه، يقول -عز شأنه- مُخْبِرًا عن نبيه نوح -عليه السلام-: ((...)) [نوح: ١٠-١٢]. ويقول عن هود -عليه السلام-: (وَتَقَرَّبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ثُمَّ تَقَرَّبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ)

السماء لا تُمْطَرُ ذهبًا ولا فضة».

والتوكل محلّه القلب، والسعي وظيفه الجوارح، وما تعمّر من شيء فبتقديره، وما تيسر من شيء فبتيسيره، ولما قال رجل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: أرسل ناقتي واتوكل! قال له: «اعقلها وتوكل». أخرجه الحاكم في مستدركه، قال الذهبي: «إسناده حسن».

ومن الأسباب الجالبة للرزق والمباركة فيه:

٤- صلة الرحم:

ومن الأسباب الجالبة للرزق والمباركة فيه حفظكم الله:- صلة الرحم؛ ففي الحديث الصحيح: «من سرّه أن يُبسّط له في رزقه، وأن يُنْسأ له في أجله، فليصل رحمه». رواه البخاري.

وفي حديث عند أحمد: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرّحم محبة في الأهل، ومثراة في المال، ومنسأة في العمر». صحّحه الألباني -رحمه الله-.

فلصلة الرّحم آثارٌ عجيبة، وثمارٌ مشهودةٌ من بسط الرزق، وزيادة العمر، ودفع ميتة السوء، وغرس المحبة، وفي الحديث عند ابن حبان -وسنّده صحيحٌ بشواهده-: «إن أعجل الطاعة ثوابًا: صلة الرّحم، حتى إن أهل البيت ليكونون فجرةً فتنموا أموالهم، ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيجتاجون».

٥- من الأسباب الجالبة للرزق والمباركة فيه: الإنفاق في سبيل الله:

معاشر المسلمين: ومن عجائب حكمة الله وفضله: أن جعل الإنفاق من أسباب جلب الرزق وسعته؛ فمن أنفق أخلف الله عليه، وبارك له فيما عنده: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [سبا: ٣٩]. يُخلفه عليه في الدنيا بالبدل والبركة، وفي الآخرة بحسن الجزاء وعظيم الثواب، وفي التنزيل العزيز: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [البقرة: ٢٦٨].

يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-: «اثنان من الله، واثنان من الشيطان؛ الشيطان يعدّكم الفقر ويقول: لا تنفقه وأمسهك لك فإنك تحتاج إليه، ويأمركم بالفحشاء، والله يعدّكم مغفرةً منه على المعاصي والذنوب، وفضلًا في الرزق».

وفي الحديث القدسي: «يا ابن آدم: أنفق أنفق عليك». رواه مسلم.

وفي الحديث الصحيح: «ما من يوم يُصبح فيه

العباد إلا وفيه ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا». رواه البخاري.

فانفقوا عباد الله، وانبتروا بالخلف الواسع من فضل الله؛ بل لقد قال -عزّ شأنه-: (يَسْأَلُ عَنْ سَعْيِهِ مَنْ لَمْ يَسْعَ وَمَنْ لَمْ يَسْعَ لَمْ يَكُنْ مِنْ سَعِيٍّ إِلَّا مَا آتَاهَا سَيِّدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ بَدْرٌ غَيْرُ مُتَرَقٍّ) [الطلاق: ٧].

ومن الأسباب الجالبة للرزق والمباركة فيه:

٦- الإحسان إلى الضعفاء والمحتاجين:

معاشر المسلمين: ومن أسباب الرزق وأسباب سعته: الإحسان إلى الضعفاء والمحتاجين، وتفقد أصحاب الجوائح، وفي الحديث: «وَهَلْ تَنْصُرُونَ وَتَرْزُقُونَ إِلَّا بضعفائكم!». رواه البخاري.

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «ابغؤني في ضعفائكم؛ فإنما تُرزقون وتنصرون بضعفائكم». رواه أبو داود، والترمذي.

وهذا يشمل أصناف ذوي الحاجات؛ من الفقراء، والمساكين، والمرضى، والغرباء، ومن لا عائل له. وإن أوضاع الأمة وماسيها قد أوقعت كثيرًا من إخواننا وجيراننا في أحوال وشدائد؛ فتفقّدوهم، واحسنوا إليهم، وانفقوا يُخلف الله عليكم، ويبارك لكم؛ بل إنكم بهذا تستجلبون نصر الله وعونه وتأييده.

ومن الأسباب الجالبة للرزق والمباركة فيه:

٧- الاستقامة على دين الله:

أيها المسلمون: وإن من أعظم أسباب جلب الرزق وبركته؛ بل لعله هو جماعُ الأسباب كلها: الاستقامة على دين الله، والعمل بطاعته، واجتناب معاصيه ومناهيه؛ فما استجلبت الأرزاق إلا بالطاعات، وما ضحقت إلا بالمعاصي والذنوب، وإن العبد ليُحرّم الرزق بالذنوب يُصيئه.

فالذنوب والمعاصي من أكبر الأبواب التي تُغلق موارد الأرزاق على الفرد وعلى الأمة. بالذنوب والمعاصي تتعسر الأسباب، وتضيق الأنواب، وتُمحَق البركات: (وَأَلَوْ اسْتَقْرَأْ عَلَى الظُّرُمَةِ لَأُتْبِعْنَهُمْ مَاءً سَفَاحًا) [نساء: ١٦، ١٧].

إن نعم الله ما حفظ موجودها بمثل الطاعة، ولا استجلب مقوقها بمثل الطاعة، فما عند الله لا يُنال إلا بالطاعة، فمن أراد السعة في الرزق، والرغد في العيش، والبركة في المال فليحفظ نفسه عما يُؤثمّه، وليمتثل أوامر ربه، وليجتنب نواهيه، وليصن نفسه عن مواضع سخط الله.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واله
وصحبه ومن والاه وبعد:

فلقد جرت عادة المصنفين من المتأخرين أن يدونوا
مقدمة عن العلم وفضله وثمراته وما يتعلق به في
صدر مصنفاتهم وذلك لفوائد منها:

أولاً: أن يحصل طالب العلم تصوراً إجمالياً للموضوع
قبل أن يدخل في تفاصيله فيعرف الوحدة الجامعة
لمسائل هذا العلم فيأمن عندئذ من دخوله في مسائل
ليست من مسائل العلم الذي قصد إليه .

ثانياً: أن يتحقق من فائدة العلم ونفعه لينشط في
طلبه وتحصيله وليستعذب المشاق في سبيله.

هذا وقد استقر عمل المصنفين على ذكر مبادئ عشرة
لكل علم تمثل مدخلا تعريفيًا لطالب هذا العلم وقد
جمعها بعضهم - كما فعل أبو العرفان محمد بن علي
الصبّان (ت: ١٢٠٦هـ) - في قوله:

إن مبادي كل فن عشرة

أحد والموضوع بم السمره

وبسبب وقصصه وأبوابه

والأسند لاسمها حكم اسرار

مسائل والنقض ببعض انتهى

ومن رزى الجمع حار السرف

وسياتي بيانها في مقالات تالية لكننا سنقدم الفضل
والثمرة على باقي المبادئ لما فيها من شحذ للهمم
ونفع أعم لجميع قراء مجلتنا الغراء .

أولاً: فضل علم التوحيد:

(أ) فضله من جهة موضوعه:

يقصد بفضل علم التوحيد ميزته وقدره الزائد على
غيره من العلوم، وما ثبت في منزلته من فضيلة، وإذا
كانت العلوم الشرعية كلها فاضلة لتعلقها بالوحي
المطهر؛ فإن علم التوحيد في الذروة من هذا الفضل
العميم؛ حيث حاز الشرف الكامل دون غيره من
العلوم.

فمن المعلوم أن المتعلق يشرف بشرف المتعلق؛
فالتوحيد يتعلق بأشرف ذات، وأكمل موصوف،
بالله الحي القيوم، المتفرد بصفات الجلال والجمال
والكمال، ونعوت الكبرياء والعزة؛ لذا كان علم
التوحيد أشرف العلوم موضوعاً ومعلوماً، وكيف لا
يكون كذلك وموضوعه رب العالمين وصفوة خلق الله
أجمعين - أي: الأنبياء والمرسلين - ومن موضوعات
علم التوحيد مال العباد إما إلى جحيم أو إلى نعيم،
وهذا ما نعني به السمعات؛ ولأجل هذا سماه بعض
السلف بـ «الفقه الأكبر».

باب العقيدة

مقدمة

باب العقيدة

لرئيس العام

حج

العلم والتوحيد

إيماناً منا بأهمية العقيدة في حياة المسلمين، ورغبة في نشر العلم النافع، وحرصاً على سلامة المعتقد، نقسح المجال لباب جديد من أبواب المجلة عبر صفحات مجلات التوحيد ألا وهو باب العقيدة.

وإنني أشرف أن أسطر تلك المقدمة لباب العقيدة، وهو باب يكتبه مشكوراً فضيلة الرئيس العام، وصاحب فكرة كتابه مقدمة لهذا الباب هو الدكتور مرزوق عضو اللجنة العلمية بالمجلة.

وإنني أنتهز هذه الفرصة لأخبر القراء الأعزاء أنني أحبك في الله، داعياً المولى سبحانه أن يجمعنا بين قلوبنا ويؤلف ذات بيننا على التوحيد الخالص.

وقد أشار شيخنا الدكتور عبد الله شاكر في الحلقة الأولى من باب العقيدة إلى فضل علم التوحيد، منوهاً بعظم قدره وعلوه على غيره من العلوم، ذاكراً فضيلته ما ثبت في منزلته من فضل؛ إذ إن التوحيد يتعلق بأشرف ذات، وأكمل موصوف، بالله الحي القيوم، المتفرد بصفات الجلال والجمال والكمال والعظمة.

ثم عرج فضيلته على ثمرة هذا العلم، مبيناً أن التوحيد سبب في طيب العيش للإنسان، وانتظام أمر الحياة، بل إن قيام المدنية وازدهار الحضارة هو إحدى ثمرات التوحيد المباركة.

وأشار فضيلة الدكتور إلى أن ثمرة علم التوحيد تظهر من خلال معرفة الله معرفة يقينية، وأن انشراح الصدر، وطمانينة القلب هي ثمرة حصول المعرفة الصحيحة بالله تعالى.

وإذا كنا غير هذا الباب الجديد نحاول أن نضيف إليك أيها القارئ باستمرار أبواباً جديدة ومتجددة حتى تكون مادية شهية، فمجلة التوحيد تهدف إلى نفع وإفادة كل نفس مؤمنة.

ندعو الله أن يحيينا على التوحيد، وأن يميّتنا عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رئيس التحرير

وتحقيق التوحيد هو أشرف الأعمال مطلقاً؛ ففي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم: «أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله»، وهو موضوع رسل الله أجمعين.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «وجميع الرسل إنما دعوا إلى (إِلَهِ سَمَاءٍ وَتِلْكَ نَسَمَاتُ) [الغاشية: ٥]، فإنهم كلهم دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته من أولهم إلى آخرهم؛ فقال نوح (عليه السلام) لقومه: «قَدْ أَتَيْنَا نوحاً إِلَى قَوْمِهِ، قَالَ قَوْمُهُ أَتَدْعُونَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهاً مَعَ إِبْرَاهِيمَ؟ فَقَالَ نوحٌ: لا أَدْعُوكُمْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ، لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ إِلَهاً مَعَهُ لَأَرْسَلْنَا بِهِ قُرْآنًا مِّنْ دُونِ الْقُرْآنِ» [النحل: ٣٦].

فأهم ما على العبد معرفته إذن هو التوحيد، وذلك قبل معرفة العبادات كلها حتى الصلاة؛ لأن التوحيد هو الأساس الذي تقوم عليه سائر أنواع والوان العبادات، ولا يمكن أن يقوم الشيء إلا على أساسه؛ وبالتالي لابد من معرفة التوحيد أولاً.

(ب) فضله من جهة معلومه:

إن معلوم علم التوحيد هو مراد الله الشرعي الدال عليه وحيه وكلامه الجامع للعقائد الحقّة، كالأحكام الاعتقادية المتعلقة بالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والبعث بعد الموت. ومعلوم علم التوحيد: هو الأحكام الاعتقادية المكتسبة من الأدلة المرضية من كتاب ناطق وسنة ماضية، وقطب رحي القرآن العظيم من فاتحته إلى خاتمته في تقرير معلوم التوحيد.

(ج) فضله من جهة الحاجة إليه:

أما فضل علم التوحيد باعتبار الحاجة إليه؛ فيظهر ذلك بالنظر إلى جملة أمور:

منها: أن الله تعالى طلبه، وأمر به كل مكلف، وأثنى على أهله، ومدح من توسل به إليه، ووعدهم أجراً عظيماً، قال تعالى: (قَاعَزَ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِ اعْبُدُونِي، وَاسْمِعُوا لَكُمْ مِصْرَ فِرْعَوْنَ إِذْ هُوَ يُصَوِّرُ أَصْنَانَكُمْ، وَأُفْرِقَ بَيْنَكُمْ وَآلِيكُمْ، وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ، وَإِذْ يَحْمِلُكَ إِلَى الصَّخْرِ الْمُنِيِّ، وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ دِينًا وَبَيْنَ أَلْمِيقَاتِ) [البينة: ٥].

ومنها أن عقيدة التوحيد هي الحق الذي أرسلت من أجله جميع الرسل، قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ، وَإِذْ يَدْعُوكَ إِلَىٰ طَرَفٍ مِّنَ الْمَدِينَةِ، لِيُضِلَّ جُنُودَهُ، وَيُؤْخَذَ فِي السَّيْرِ، وَيَكُونَ مِنَ الْمُجْلَبِطِينَ) [النحل: ٣٦]. وقال سبحانه: (وَمَا يَكُونُ لَكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ إِلَّا هِيَ أَقْبَلُ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَيُؤْخَذَ فِي السَّيْرِ، وَيَكُونَ مِنَ الْمُجْلَبِطِينَ) [النحل: ٣٦].

إن الإيمان يثمر طمانينة القلب وراحته وقناعته بما رزقه الله به، ويجعل العبد لا يتعلق بغير ربه ومولاه؛ وهذه هي الحياة الطيبة، فإن أصل الحياة الطيبة راحة القلب وطمأنينته، وعدم تشوشه مما يتشوش منه الفاقد للإيمان الصحيح، وفي (الصحيح): أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عجبا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له؛ وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن».

ولذلك قال بعض السلف: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى:

(يَوْمَ يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُسْلِمَاتُ لِلَّهِ مَا مَنَّا أَنْظَرُونَا نَقِيسَ مِنْ نَزَمُوا قَبْلَ أَرْحَمُوا وَزَادَهُ مَا تَسْأَلُونَ فَصَرَبَ بِهِمْ بُرْهَانُهُ مَا بَدَّ مِنْهُ، بِهِ الرَّحْمَةُ وَظَهَرَ، مِنْ قِبَلِهِ الْقُدْرَةُ) [الحديد: ١٣]، قال: «ما يصنع أعدائي به؟! أنا جنتي وبُستاني بصدري، أني رحت فهي معي لا تفارقني؛ إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي في من بلدي سياحة».

ومظاهر الحياة الطيب التي خص الله بها عباده المؤمنين في الدنيا كثيرة؛ فمنها: ولاية الله عز وجل.

(البقرة: ٢٥٧).

ومنها: محبة الله عز وجل للمؤمنين، ومحبة الخلق لهم:

(يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ رَبِّكَ عَنْ وَجْهِكَ قَوْلَ إِيَّايَ اللَّهُ هُوَ يَجْمَعُهُ وَيَجْمَعُهُ) [المائدة: ٥٤].

ومنها: مدافعة الله عن المؤمنين، وإنجاؤه لهم:

إن الله عز وجل تكفل بنصر أوليائه المؤمنين على أعدائهم، قال سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) [الحديد: ٣٨]، ولم يذكر ما يدفعه عنهم حتى يكون أفخم وأعظم وإعم واتم، وقال سبحانه: (فَأَسْتَجِبْ لَهُ وَنَجِّنْهُ مِنَ الْمَرِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) [الأنبياء: ٨٨].

ومنها: حصول نور البصيرة التي تفرق بين الحق والباطل:

قال الله تعالى: (يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا بِإِيمَانٍ أَنْ تَقُولُوا اللَّهُ يَجْمَلُ لَكُمْ قُرْآنًا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [الأنفال: ٢٩]، وهذا الفرقان فسرهُ أهل العلم بالنور الذي يقذفه الله في قلب المؤمن، فيفرق

لَا تُرْجَى إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٢٥]، وهي حق الله على عباده، كما في حديث معاذ (رضوان الله عليه): أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وهي ملة أبينا إبراهيم (عليه السلام) التي أمرنا الله باتباعها، قال تعالى: (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ دِينِ آلِهِ) [النحل: ١٢٣]، وهي أيضا دعوته (عليه السلام)، قال تعالى على لسانه: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَاجْعَلِي وَبَنِيَّ أَقْسَامًا) [إبراهيم: ٣٥].

ومن فضل علم التوحيد أيضا أن الله تعالى جعل الإيمان شرطاً لقبول العمل الصالح، وانتفاع العبد به في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (مَنْ

مِنَ الصَّادِقِينَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدٍ يُرَى لَهُ) [الأنبياء: ٩٤]، وأي حاجة أكثر من حاجة

العبد إلى العمل الصالح، وأن يؤمن برب العالمين وأن يلقى الله عز وجل على ذلك؟ وقال سبحانه: (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَوَّاهَا حَسَبَ مَا وَفَّقَهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَوْلِكَ كَانَ سَعِيدُهُ مُشْكُورًا) [الإسراء: ١٩].

فإذا جاء العبد بغير الإيمان، فقد خسر جميع عمله الصالح، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَكَ بِعِبَادَتِكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الزمر: ٦٥].

ومما يبين فضل التوحيد من جهة الحاجة إليه أن سعادة البشرية في الدنيا والآخرة متوقفة على علم التوحيد، فحاجة العبد إليه فوق كل حاجة، وضرورته إليه فوق كل ضرورة؛ فلا راحة ولا طمانينة ولا سعادة إلا بأن يعرف العبد ربه باسمائه وصفاته وأفعاله من جهة صحيحة صادقة ناصحة، وهي جهة الوحي الرباني. يعني: ما ورد في كتاب اله وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: ثمرة علم التوحيد:

ثمرة علم التوحيد بالنسبة للمكلف:

بالنسبة لثمرة التوحيد للمكلف في الحياة الدنيا أن التوحيد سبب في طيب العيش للإنسان، وانتظام أمر الحياة؛ بل إن قيام المدينة وازدهار الحضارة هي من ثمرات التوحيد المباركة، قال رب العالمين: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ

بَيْتِهِم بِرَكَّتْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ تَكْفُرُونَ) [الأعراف: ٩٦]، وقال تعالى: (وَأَزَلُّهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ سَخِيبُهُ حَيْوَةٌ طَيِّبَةٌ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ خَرَابِهِمْ فَأَتَيْنَاهُ بِالْحَقِّ) [النحل: ٩٧]، وقال تعالى: (

[الرعد: ٢٨].

هم عليه، أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين.

ثمرات التوحيد العملية:

المراد بثمرات التوحيد العملية: القوة التي تحمل الإنسان على السير إلى الله تعالى، والاجتهاد في عبادته، والتقرب إليه بما يرضيه، واجتناب ما يسيئ.

وتظهر ثمرة علم التوحيد العملية من خلال الأمور التالية:

أولاً: تحقيق الإخلاص، وأعمال القلوب على الوجه الصحيح:

إن الإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة رسل الله أجمعين، وهو روح التوحيد، ولب الرسالة. والإخلاص يتوقف -في حصوله وكماله- على معرفة العبد لربه، وتعظيمه، وتاليه، ومعرفة أسمائه تعالى، وصفاته، وإحصائها، والتعبد لله بمقتضاها؛ فمن كان بالله أعرف كان له إخلاص، وفيما عند الله تعالى أرغب، ومن عقوبته أرهب.

ثانياً: اشتغال الجوارح بالطاعات:

إذا عمر الإخلاص قلب العبد، وتحققت أعمال القلوب من محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والتوكل على الله والصبر له، والخوف منه، والرجاء فيما عنده؛ انطلقت الجوارح -ولابد- في طاعة الله تعالى ولا يتخلف ذلك أبداً، وفي الصحيح: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»؛ فصلاح الظاهر تابع لصلاح الباطن في الأصل، والارتباط بينهما حاصل.

ثالثاً: الاجتماع، والوحدة، والائتلاف:

وهذا هو ما دعا رب العالمين عباده إليه؛ قال تعالى: ([آل عمران: ١٠٣])

وقال سبحانه.)

أَلَيْسَتْ ءَأُولَئِكَ فَمَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ ([آل عمران: ١٠٥])
وقال صلى الله عليه وسلم: «من ترك الطاعة وفارق الجماعة، ثم مات؛ فقد مات ميتة جاهلية»، وقال صلى الله عليه وسلم: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب».

وقد اقتفى السلف الصالح نصوص الكتاب والسنة؛ فكانوا مجتمعين على اعتقاد واحد وهو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الواحد منهم ينقله إلى ما يأتي بعده، ولم يختلفوا في مسألة من مسائل الاعتقاد أبداً.

هذا والله تعالى أسأل أن يرزقنا وإياكم الإخلاص والتوفيق إنه خير مسئول وأكرم مأمول والحمد لله رب العالمين.

به بين الحق والباطل، والسنة والبدعة، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي بِمَا الِكُتُبُ وَلَا

إِلَّا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) [الشورى: ٥٢].

ثمرات التوحيد العلمية:

وتظهر ثمرة علم التوحيد العلمية من خلال الأمور التالية:

أولاً: معرفة الله معرفة يقينية:

إن سلوك منهج أهل السنة في تعلم علم التوحيد يوصل العبد -ولابد- إلى غاية المطالب، وأشرف المقاصد، وأول الواجبات وهو: معرفة الله تعالى بالتوحيد، وإفراده تعالى بالعبادة، والبراءة من الشرك، وكلما ازداد العبد علماً بالتوحيد؛ ازداد رقياً في مدارج الإيمان ومعارج اليقين، وارتقى من الإيمان المجمل إلى الإيمان المفصل، ومن حال التقليد إلى حال اليقين والإذعان، والتصديق عن حجة وبرهان؛ بحيث يكون اعتقاده في ربه اعتقاداً صحيحاً موافقاً للواقع عن دليل صحيح، وهذا أفضل ما اشتغل بعلمه الإنسان.

والعلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته سبيل لرفع الدرجات وحصول البركات، قال تعالى: (يَرْجِعُ اللَّهُ إِلَيْنِ) [المجادلة: ١١]، وهذا العلم الصحيح هو الذي يحل عقدة الأسئلة الكبرى التي ضلت البشرية في الاهتداء إلى جوابها؛ فهاهنا في ضروب الإلحاد وعبادة الشجر والحجر والتثليث، وعبادة الهوى من دون الله تعالى؛ ففي القلب خلة لا يسبغها إلا الاعتقاد الحق، وحاجة لا تنقضي إلا بمعرفة الرب.

ثانياً: انشراح الصدر، وطمأنينة القلب:

وهذا الأمر ثمرة حصول المعرفة الصحيحة بالله تعالى، والإجابة على أسئلة الفطرة حول الكون والحياة؛ فنفس لا إيمان فيها مضطربة قلقة تائهة خائفة؛ فاما اضطرابها، فلأنها كالسفينة تتقاذفها الأمواج العاتية، تتلقى عن كثيرين غير الله تعالى مناهجها وعقائدها؛ فتضطرب مرجعيتها ويختلف سبيلها وتتناقض مسيرتها، واما النفس المؤمنة الموحدة فقد اتحد مصدر ورودها وصدورها في كل أمر، فهي تتلقى من الله وعن الله، وهي تسير إلى الله تعالى، قال تعالى: (مَرَّتْ أَلْفُ مِثْقَلِ خَلَا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّكُونَ وَخَلَا سَمًا لِّخَلٍّ هَلْ نَسْتَوِي مَثَلًا نَحْمَدُ اللَّهَ بَلْ كَرَّمُوا بَقِيَّتَهُ) [الزمر: ٢٩].

ثالثاً: حصول برد اليقين، واستقرار الفكر:

قال شيخ الإسلام: «المقصود أن ما عند عوام المؤمنين وعلمائهم - أهل السنة والجماعة- من المعرفة واليقين والطمأنينة والجزم الحق والقول الثابت والقطع بما

القلوب والقن

القلب القاسي

د. جمال المراكبي

عدد



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا
نبي بعده:
وبعد، فما يزال الحديث متصلاً عن القلوب
واقسامها، ونتناول في هذا العدد الحديث عن
القلب القاسي وسبل علاجه، والله نسأل أن
يصلح لنا قلوبنا ونياتنا وأن يرزقنا الإخلاص
في الأقوال والأعمال.

عندما يمرض القلب ويقسو إلى أن يتحجر،
عندها تختل معايير الإنسانية، فيقال: فلان
ميت القلب ولا يعرف الرحمة، وأن ترتبط رقة
القلب بالضعف الذي لا يليق بالرجال، وأن يقول
البعض: كن قاسي القلب تعيش في هناء، ويقول
الأخر: نحن في زمن إذا قيل للحجر كن إنساناً
لقال: عذراً لست قاسياً لهذه الدرجة، كل هذا
بسبب اختلاف المعايير الإنسانية.

هنا تكمن المشكلة، فابعد القلوب من الله القلب
القاسي، فالقلب القاسي قلب نزعته منه الرحمة.
قال مالك بن دينار: «ما ضرب عبد بعقوبة أعظم
من قسوة القلب، وما غضب الله عز وجل على
قوم إلا نزع منهم الرحمة».

وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: جاء أغرابي
إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تقبلون
الصبيان فما نقبلهم؟ فقال النبي صلى الله عليه
وسلم: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»
[صحيح البخاري ٥٩٩٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم، الحسن بن علي، وعنده
الأقرع بن حابس التميمي جالساً فقال الأقرع: إن
لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «من لا
يرحم لا يرحم» [صحيح البخاري ٥٩٩٧].

والقلب القاسي هو شر القلوب المفتونة بإغواء
الشیطان.

قال الله تعالى: (يَجْعَلْ مَا بَيْنَ الشَّيْطَانِ فَتْنَةً لِّلَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي
شِقَاقٍ بَعيدٍ) [الحج: ٥٣].

وقال تعالى: (فَرِيقٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ
فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) [الزمر: ٢٢].

وهو القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف
ربه، ولا يعبد به وأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو
واقف مع شهواته ولذاته؛ ولو كان فيها سخط
ربه وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه،

22

أَثَرُهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزَقَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يُوسِّعُهَا وَلَا تَنْسَجُ (صحيح البخاري ١٤٤٣).

ثانياً: عدم التأثر بآيات القرآن الكريم والمواعظ والذكر:

فهو يسمع آيات الوعد والوعيد فلا يتأثر ولا يخشع قلبه، كما أنه يغفل عن قراءة القرآن، وعن سماعه ويجد ثقلاً وانصرافاً عنه، مع أن الله تعالى يقول: (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ)، ومدح الله المؤمنين بقوله: (يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَئِنْ إِذْ ذُكِّرْتُمْ سَمِعْتُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّا لَمُتِّتْ عَلَيْهِمْ مَا يَشَاءُ لَأُذِتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال: ٢).

وعاتب الله المؤمنين بقوله: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِطَعْنِ اللَّهِ وَتَذَكَّرُوا مِنْ حُلِّهِ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَضَلَّ عَنْهُمْ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثُفَتْ مِنْهُمْ فَيَتَوَكَّرُونَ) (الحديد: ١٦).

ثالثاً: عدم تأثره بالحوادث كالموت والآيات الكونية:

فهو لا يتأثر بالموت ولا بالأموات يتساقطون من حوله، كأنه ضمن الخلود في الدنيا، ويمشي في المقابر وكأنه في الأسواق، وكفى بالموت واعظاً. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ، يَعْنِي الْمَوْتَ» [سنن الترمذي ٢٣٠٧ وصححه الألباني].

وبكى على القبر وقال: «لمثل هذا فاعدوا» [سنن ابن ماجه ٤١٩٥ وحسنه الألباني].

رابعاً: زيادة ولعه بملذات الدنيا وإثارة على الآخرة:

فتصبح الدنيا همه وشغله الشاغل، وتكون مصالحة الدنيوية ميزاناً في حبه وبغضه وعلاقاته مع الناس، فيغرق في اللهو واللعب ويشغل قلبه الحقد والحسد والأنانية والبخل والشح.

خامساً: يضعف في قلبه تعظيم الله جل جلاله: وتذهب الغيرة، ولا يغضب إذا انتهكت محارم الله، فيرى المنكرات، ويسمع الموبقات وكأن شيئاً لم يكن، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكراً، ولا يبالي بالمعاصي والذنوب.

سادساً: الوحشة وضيق الصدر والشعور بالقلق والضيق: لا يكاد يهنا بعيش أو يشعر بطمأنينة؛ فيظل قلقاً متوتراً من كل شيء.

أسباب قسوة القلب:

أولاً: تعلق القلب بالدنيا وزخرفها:

قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ

جَعَلَ اللَّهُ غَنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قَدَّرَ لَهُ» [سنن الترمذي ٢٤٦٥ وصححه الألباني].

ويقسو القلب من أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل والنوم والكلام والمخالطة، والجدل فيما لا يفيد والتعصب المذهبي.

ثانياً: الغفلة عن ذكر الله:

قال الله تعالى: (وَلَقَدْ لَدَنَّكَ طَعْنُ اللَّهِ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعْتَهُمْ وَأَصْرَهُمْ وَأَوَّلِيكَ هُمْ تَعْمُونَ) (النحل: ١٠٨).

قال بعض العلماء: لا تكثرُوا الكلام بغير ذكر الله فنقسو قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد عن الله عز وجل، ولا تنظروا إلى ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا في ذنوبكم فإنكم عبيد، والناس رجالان مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء واحمدوا على العافية.

وقال ابن القيم: ومن تأمل حال أكثر الخلق وجدهم ممن غفلت قلوبهم عن ذكر الله تعالى، واتبعوا أهواءهم، وفرطوا فيما ينفعهم واشتغلوا بما لا ينفعهم بل يعود بالضرر عاجلاً وأجلاً، قال الله تعالى: (وَلَا تَتَّبِعْ مَنْ غَفَلْتُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ هُوَ لَا أَمْرَهُ فَرُغًا) [الكهف: ٢٨].

ثالثاً: مصاحبة أصدقاء السوء: في الأجواء الفاسدة: فالإنسان سريع التأثر بمن حوله، فالشخص الذي يعيش في أوساط المعاصي والمنكرات، ويجالس أناساً أكثر حديثهم عن اللذات المحرمة والنساء، ويكثرون المزاح والضحك والنكات وسماع الغناء ورؤية المسلسلات، هذا الشخص لا بد أن يتأثر بهؤلاء الجلساء فيقسو قلبه ويغفل، ويعتاد على هذه المنكرات.

رابعاً: نسيان الموت وسكراته، والقبر وأهواله وعذابه ونعيمه، ووضع الموازين، ونشر الدواوين، والمروء على الصراط، ونسيان النار وما أعد الله فيها لأصحاب القلوب القاسية.

خامساً: الاشتغال بما يفسد القلب ويقسيه:

ومفسدات القلب كثيرة منها: كثرة الاختلاط، وركوب الأماني، والتعلق بغير الله، وكثرة الطعام، وكثرة النوم، والركون إلى الدنيا والإخلال إلى الأرض.

نسأل الله أن يصلح قلوبنا ويهدي نفوسنا، ويصلح لنا أعمالنا واخلقنا، والحمد لله رب العالمين.

الدعاء .. قرع لأبواب السماء



أحمد صلاح

الغفور الرحيم. [صحيح البخاري ٨٣٤]. وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى مريضاً قال: اذهب إليّ يا رب الناس، اشف وانت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً. [صحيح البخاري ٥٦٧٥].

وروى أحمد في مسنده (٤٣١٨)، وابن حبان في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما قال عبدٌ قط إذا أصابه همٌ أو حزنٌ: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلت في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حُرْني وذهب همي، إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحاً، قالوا: يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات قال: أجل، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن. والحديث صحيحه الألباني في صحيح الترغيب ١٨٢٢.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أرايت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قل: اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني. [سنن ابن ماجه ٣٨٥٠ وصحيحه الألباني].

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله واله وصحبه والتابعين، وبعد:

فقد سبق في العدد الماضي أن تناولنا أهمية الدعاء، ومنزلته العظيمة في الإسلام، وبيننا أنه أعلى مراتب العبادة، بل هو العبادة كلها، ففي الحديث عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: «وقال ربكم ادعوني استجب لكم» [سنن أبي داود ١٤٨١ وصحيحه الألباني].

وقد تناولنا فيما سبق بعض آداب الدعاء وأحكامه التي ينبغي للداعي أن يتعلمها ويتأدب بها، حتى يكون ذلك ادعى لقبول دعائه وإجابة طلبه ومناجاته، ونكمل في هذا العدد فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١٠- أن يدعو العبد ربه تعالى باسمائه الحسنی وصفاته العلی

ودليل ذلك قوله تعالى: «ولله الأسماء الحسنی فادعوه بها»، فإن معرفة الله تعالى باسمائه وصفاته مما يزيد الإيمان ويقوي اليقين، ومعرفة العبد بها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: ربوبية، الوهية، أسماء وصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان واصله وغايته.

ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء استهلاله باسماء الله الحسنی وصفاته العلیا، وأن يتخير من أسماء الله وصفاته ما يناسب حاجته، كما في الصحيحين من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه: فأغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت

أي: من صفاتك العفو، وأنت تحب العفو، فأسالك بما تحبه، وما أنت متصف به، أن تعفو عني، فالسؤال يكون بذكر الصفة التي يتصف به الله تعالى، والتي يجيها في عبادته.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كرهه أمر قال: يا حي يا قيوم برحمتك استغيث. [رواه الترمذي (٣٥٢٤) وحسنه الألباني].

١١- أن يتحرى العبد أوقات الإجابة، فإن ذلك ادعى للقبول وعدم الرد.

وهناك أوقات كثيرة يستحب فيها الدعاء ويُجاب- بإذن الله- منها مثلاً:

١- جوف الليل وعقب الصلوات المكتوبة:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فرعاً وهو يقول: سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخرائن، وماذا أنزل من الفتن، ومن يوقظ صواب الحجرات يقمن فيصلين! [صحيح البخاري ١١٢٦].

قال الحافظ في الفتح: فيه استحباب الضراعة والدعاء وقت الليل رجاء الإجابة.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل الأخير، ودير الصلوات المكتوبات. [رواه الترمذي (٣٤٩٩) وحسنه الألباني].

قال مجاهد رحمه الله: إن الصلوات جُعِلت في خير الساعات، فعليكم بالدعاء خلف الصلوات.

ب- بين الأذان والإقامة:

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يردُّ الدعاء بين الأذان والإقامة. [رواه أبو داود (٥٢١) وصححه الألباني].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ات محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة. [صحيح البخاري ٦١٤].

ج- عند نزول المطر:

عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فَتَحَانِ لَا تَرْدَانِ، أَوْ قَلَمًا تَرْدَانِ: الدَّعَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ وَعِنْدَ الْبَاسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا». قَالَ مُوسَى: وَحَدَّثَنِي رَزَقُ بْنُ سَعِيدٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: وَوَقْتُ الْمَطَرِ. [رواه أبو داود (٢٥٤٢) وصححه الألباني].

د- الدعاء في السجود:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجدًا، فأكثروا الدعاء. [صحيح مسلم ٤٨٢].

هـ- في يوم عرفة ويوم الجمعة:

أما ما جاء في يوم عرفة، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خيرُ الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. [رواه الترمذي ٣٥٨٥ وحسنه الألباني].

وأما يوم الجمعة، فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه. [صحيح مسلم ٨٥٢].

و- في الصيام والسر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر. [رواه أبو داود ١٥٣٦ وحسنه الألباني].

ز- عند صباح الديكة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا سمعتم صباح الديكة، فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكًا. [صحيح البخاري ٣٣٠٣].

قال القاضي عياض رحمه الله: كان السبب فيه رجاء تامين الملائكة على دعائه، واستغفارهم له، وشهادتهم له بالإخلاص.

ح- عند القليق من النوم ليلاً:

عن عباد بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته. [صحيح البخاري ١١٥٤].

ط- عند حضور الميت والجنائزات:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه، ثم قال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر، فضج ناس من أهله، فقال صلى الله عليه وسلم: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره ونور له فيه. [صحيح مسلم ٢١٦٩].

والحمد لله رب العالمين.

من نور كتاب الله

أسباب دخول الجنة

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَأَحْسَنُوا إِن رَّبِّهِمْ أُولَئِكَ

[هود: ٢٣]

من دلائل النبوة

إخباره عن انتهاء ملك قيصروكسرى

عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال: «إذا هلك كسرى

فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا

قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفق

كنوزهما في سبيل الله» [سنن الترمذي

٢٢١٦ وصحيحه الألباني]

واحدة التوحيد

«إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة

بصوم ولا ب صلاة، ولكن بسلامة

الصدور، ونصيحة المسلمين، هو

من وضع الصوفية، ويحضر على ترك

العقل الذي هو سبب لدخول الجنة

[السلسلة الضعيفة للألباني ٣

[٦٦٨

العلماء يوصون باتباع

طريق السلف

عن نوح الجامع قال: قلت لأبي حنيفة:

ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام

في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات

الفلاسفة، عليك بالآثر وطريقة السلف

وأياك وكل محدثة فإنها بدعة.

[ذم الكلام للهروي ٢٠٧/٥]

عن مالك بن نسر رحمه الله

سئل عن الكلام والتوحيد فقال

مالك: محال أن يظن بالنبي صلى

الله عليه وسلم أنه علم أمته

الاستنجا ولم يعلمهم التوحيد.

ذم الكلام للهروي ٢١٠/١

عن أبي سليمان الداراني قال مر اشتغل

بنفسه شغل عن الناس ومن استغل بربه

سعر عن نفسه وعن الناس [سير اعلام

النبلاء ١٠/١٨٥]

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

من حقوق المسلم على أخيه المسلم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سِتٌّ خِصَالٌ: يَعُودُهُ إِذَا مَرَضَ، وَيَشْهَدُهُ إِذَا مَاتَ، وَيَجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيَشْتَمُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَنْصَحُهُ إِذَا غَابَ أَوْ شَهِدَ». [سنن الترمذي، ٢٧٣٧ وصححه الألباني].

من جوامع الدعاء

عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانِي وَأَوَانِي وَأُطْعَمَنِي وَوَسَقَانِي، وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَيَّ كُلِّ حَالٍ. اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ أَيْ دَاوُدَ ٥٠٦٠. وَصَحَّحَهُ الْإِسْبَانِيُّ».

اعمال الأعراس

من غريب الأحاديث

دثر: فيه الحديث «ذهب أهل الدثور بالاجور» [صحيح مسلم ١٠٠٦]. الدثور: جمع دثر، وهو المال الكثير، ويقع على الواحد والاثنين والجميع. [كشف المشكل لابن الجوزي ٢٤٤/١].

مَرَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ بِقَوْمٍ مِنْ بَنِي نَمِيرٍ، فَادَامُوا النَّظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: يَا بَنِي نَمِيرٍ، وَاللَّهِ مَا أَخَذْتُمْ بِوَاحِدَةٍ مِنْ أَنْتَيْنِ لَا يَقُولُ اللَّهُ (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ) يَغْضُوا مِنْ أَنْصَارِهِمْ، وَلَا يَقُولُ جَرِيرٌ:

فَاسْتَحْبَا الْقَوْمُ مِنْ كَلَامِهَا وَأَطْرَقُوا
[عبور الأخبار ٣٩٧/١]

عَنِ الْعَجَّاجِ قَالَ: «قَالَ لِي أَبُو هُرَيْرَةَ: تَقُولُ أَنْتَ قُلْتُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَالَ: بَوَسَدَ أَنْ يَأْتِيكَ نَقْعَانُ الشَّامِ فَيَأْخُذُوا صَدَقَتَكَ، فَإِذَا أَنْوَكْتَ فَتَلْقَهُمْ بِهَا، فَإِذَا دَخَلُوهَا فَكُنْ فِي أَقْصَاهَا، وَخَلْ عَنْهَا وَعِهَا. وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْبِيَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ سَبَيْتَهُمْ رَكِبْتَ أَجْرَكَ، وَأَخَذُوا صَدَقَتَكَ. وَإِنْ صَبَرْتَ جَاءَتْكَ فِي مِيزَانِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [عبور الأخبار ٣٩٧/١].

عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: كَانَ السَّلَفُ يَعْلَمُونَ أَوْلَادَهُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٌ كَمَا يَعْلَمُوهُمْ السُّورَةَ مِنَ الْفَرَانِ. [مسند الموطأ ١٥/١]

تأثير قرائن

السياق

على الأحكام

الفقهية

الجلقة

(٥٩)

متولي البراجيلي

اعداد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي
من أهم قرائن السياق حسب مفهومها الواسع
والتي هي: كل ما يفسر النص أو يوضحه أو يزيل غموضه.

والتعارض: هو أن يتقابل الدليلان بحيث يخالف
أحدهما الآخر، وشرع الله تعالى مبرا من هذا
التعارض. فادلة الشرع حق، والحق لا يتناقض.

لنضع هذا التعارض فقلنا: إن الخطوة الأولى هي
الجمع بين الأدلة ما أمكننا ذلك، وضربنا أمثلة
توضح كيفية الجمع.
وستتألف البحث عن باقي خطوات دفع
التعارض.

الخطوة الثانية: دفع التعارض بالنسخ

هو رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم بخطاب
متراج عنه. (روضة الناظر لابن قدامة ٢١٩/١).
وبتغريف آخر، هو: رفع حكم شرعي بدليل شرعي
متراج. (شرح الكوكب المنير ٥٢٦/٣).

ويعرف النسخ بالمجرى

أولاً: دلالة اللفظ عليه صراحة:

١- ويكون ذلك في القرآن كقوله تعالى: (الَّذِينَ حَقَّتْ
لَهُمْ عَذَابُهُمْ) [الأنفال: ٦٦]، فلفظ الآية يدل على تأخر
الخطاب الشرعي المقتزن بها، وكذلك قوله تعالى:
(الْبَقَرَةُ: ١٨٧).

٢ وفي السنة كتصريح النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم كما بحديث ابن بريدة عن أبيه رضي الله
عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، ونهيتكم عن
لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فامسكوا ما بدا لكم،
ونهيتمكم عن النبيذ إلا في سقاء، فاشربوا في
الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكراً». (صحيح مسلم
ج ١٩٧٧). وأما فعل النبي صلى الله عليه وسلم
فقد يكون ناسخاً بضوابط - وهذا هو الظاهر
من كلام الإمام أحمد، واختاره بعض الشافعية،
ومنه ابن عقيل من الحنابلة والمجد بن تيمية،
وقال: إن دلالات الفعل دون دلالات صريح القول،
وقد أشار إلى ذلك الشوكاني في إرشاد الفحول،
والمسألة فيها توسع. انظر شرح الكوكب المنير
(٥٦٣/٣، ٥٦٤)، وإرشاد الفحول (٥٥/٢).

٣- وفي أقوال الصحابة كتصريح الصحابي بالنسخ: كقول عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن» (صحيح مسلم ج ١٤٥٢).

[قائدة: قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن. ليس معناه على ظاهره - كما يُظن - وإنما معناه قرب عهد النسخ من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى صار بعض الصحابة الذين لم يبلغهم النسخ يقرأه على أنه لم يُنسخ. فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن قراءته واجمعوا على أن هذا لا يُقلى.

وهذا قسم من أقسام النسخ: وهو نسخ التلاوة وبقاء الحكم، ونظير ذلك نسخ آية رجم الزاني المحصن وبقاء الحكم (انظر معالم السنن للخطابي ١٨٨/٣ وشرح النووي على مسلم ٢٩/١٠).

ثانياً: قرينة في سياق النص:

كقوله صلى الله عليه وسلم: «خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً... الحديث. فهذا يشير إلى المنسوخ، وهو قوله تعالى: (وَأَلْقَى يَأْسِرَ الْفِتْنَةَ) الآية [النساء: ١٥]. (تيسير أصول الفقه للجديع ٨٤/٣).

ثالثاً: بمعرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ، أي المتقدم والمتأخر، وهذا من الصعوبة بمكان إن لم يوجد صريحاً في النص؛ لأن الصحابة يروي بعضهم عن بعض، فيروي المتأخر إسلامه عن المتقدم إسلامه دون أن يصرح بمن تحمل عنه الحديث، وهذا لا يقدر في صحة الحديث؛ لأن الصحابة كلهم عدول، كما هو مقرر عند أهل العلم، ومما يندرج تحت هذا: أن الأحكام الواقعة في حجة الوداع أو بعدها مما يعارض أحكاماً غير معلومة الناسخ فما ورد في تلك الحجة أو بعدها ناسخ لتلك الأحكام، لأن في تلك الحجة كمال الدين. [تيسير أصول الفقه للجديع ٨٥/٣].

رابعاً: بالإجماع على أن هذا الحكم منسوخ، كنسخ وجوب صوم يوم عاشوراء بصوم شهر رمضان. [الإجماع يكون مبيناً لنص الناسخ المتأخر وليس الإجماع هو الناسخ، لأنه كما هو معلوم لا نسخ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم].

ثانياً: أمثلة على دفع التعارض بالنسخ:

١- ما بين آيتين:

قوله سبحانه وتعالى في عدة المتوفى عنها

زوجها: (وَأُولَئِكَ يَتَرَوْنَ مَوْتَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ رُوِيَ عَنْهُ لَأَوْحَاهُمْ بِسْمِ اللَّهِ يَنْحَلُّ عَنْ حَبْلِ حَجٍّ وَإِنْ كَانَ مِنْكُمْ مَنْ يَتَرَوْنَ كَيْفَ يُنْفِخُ فِي شَهْرٍ فِي شَهْرٍ مِنْ مَعْرُوفٍ) (البقرة: ٢٤٠). وقوله تعالى: (وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا نِسَاءَ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ مَا بَلَغَ مِنْهُنَّ أَهْلَ الْحُلُمِ إِلَّا مَا بَلَغَ مِنْهُنَّ أَهْلَ الْحُلُمِ) (البقرة: ٢٣٤)، فالآية الأولى تبين أن المرأة كانت تعتد في بيت زوجها سنة إذا مات عنها، ثم نسخ ذلك بالآية الثانية، وقد أورد الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما - فكان الرجل إذا مات وترك امرأته اعتدت سنة في بيته، ينفق عليها من ماله ثم أنزل الله تعالى ذكره بعد: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً)، فهذه عدة المتوفى عنها زوجها، إلا أن تكون حاملاً فعدتها أن تضع ما في بطنها. (تفسير الطبري: ٢٥٥/٥)، وكذلك أورد بسنده عن الضحاك: كان الرجل إذا توفي أنفق على امرأته في عامه إلى الحول، ولا تتزوج حتى تستكمل الحول وهذا منسوخ. (السابق).

كما أن الآية الأولى بها حكم ثان منسوخ وهو الوصية للزوجات، فقد نسخ هذا الحكم بآية الميراث بقوله تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْرُ مَا لَهُمْ مِمَّا رَزَقَهُنَّ وَالْيَتَامَى وَالنِّسَاءُ) (النساء: ١٢)، وأورد الطبري بسنده عن عكرمة والحسن البصري قالا: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهن متاعاً إلى الحول غير إخراج) نسخ ذلك بآية الميراث، وما فرض لهن فيها من الربع والثلث، ونسخ أجل الحول أن جعل أجلها أربعة أشهر وعشراً. (السابق ٢٥٧/٥).

قلت: وهذا مروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في سنن أبي داود (انظر صحيح سنن أبي داود ج ١٩٨٩)، وإن كان ثمة قول آخر عن الآية الأولى أنه لم ينسخ منها شيء وأنها ثابتة الحكم، أوردته الطبري عن مجاهد في قول الله: (وَأُولَئِكَ يَتَرَوْنَ كَيْفَ يُنْفِخُ فِي شَهْرٍ فِي شَهْرٍ مِنْ مَعْرُوفٍ) (البقرة: ٢٣٤).

قال: كانت هذه للمعتدة، تعتد عند أهل زوجها، واجباً ذلك عليها، فأنزل الله: (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهن متاعاً إلى الحول غير إخراج) إلى قوله (من معروف). قال: جعل الله لهم تمام السنة، سبعة أشهر وعشرين ليلة، وصية، إن شاعت سكنت في وصيتها، وإن شاعت خرجت، وهو قول الله تعالى ذكره: (غير إخراج فإن خرجن

عيناه، فجاءته امرأته، فلما رآته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية: **(أَيُّ لَحْمٍ لَيْلَةَ النِّسَاءِ أَرَمْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ)** (البقرة: ١٨٧) ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: **(وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ)** (البقرة: ١٨٧) (صحيح البخاري ح ١٩١٥).

وأخرج البخاري أيضاً بسنده عن البراء رضي الله عنه: «لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخنون أنفسهم، فانزل الله: **(عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَابُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ)**» (البقرة: ١٨٧) (صحيح البخاري ح ٤٥٠٨).

[ملاحظات: ١- المثال المضروب من نسخ ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم في أول أمر الصيام، يُعد من السنة التقريبية، إذ كانوا يفعلون ذلك بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معهم، ولم ينكر عليهم صلى الله عليه وسلم.

٢- لا يوجد تعارض بين الآية والحديث - لأن هذا من النسخ الذي جاء بنص، وهذا القسم من النسخ لا إشكال فيه، وليس هذا من باب التعارض، ولكن ذكرته من باب تمام الفائدة، وللتوسع في النسخ ومسائله ينظر في كتابي دراسات في أصول الفقه ١٥٥-١٧٠].

٣- النسخ ما بين حديثين:

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنما الماء من الماء). (صحيح مسلم). والماء الأول في الحديث هو ماء الغسل لإزالة الجنابة، وأما الماء الثاني فهو المني. وهذا من باب الجناس التام، والمعنى: أنه لا غسل على من جامع إلا بنزول المني.

وكذلك ما ورد عن أبي كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: في الرجل يأتي أهله ثم لا يُنْزِل، قال: يغسل ذكره ويتوضأ. (صحيح مسلم).

الحديث المعارض: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا جلس بين شعبها الأربع، ثم جهدها، فقد وجب عليه الغسل. (متفق عليه)، وفي رواية مسلم: «وإن لم يُنْزِل».

وجه التعارض:

في الحديثين الأولين يقول النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا غسل للجنابة على من جامع أهله ثم لم يُنْزِل المني. بينما في حديث أبي هريرة رضي الله

عنه فلا جناح عليكم)، قال: والعدة كما هي واجبة. (تفسير الطبري ٢٥٨/٥).

ورجح الطبري أن النسخ واقع في العدة وفي الوصية، فنسخت الوصية بآية الميراث، وأبطل مما كان جعل لهن من سكنى حول (سنة) سبعة أشهر وعشرين ليلة، وردهن إلى أربعة أشهر وعشر، على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أورد بسنده عن فريجة أخت أبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما - أن زوجها خرج في طلب عبد له، فلققه بمكان قريب فقاتله، وأعان عليه أعبد معه فقتلوه، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن زوجها خرج في طلب عبد له، فلققه علوج (العلج: هو الرجل من كفار العجم) فقتلوه، وإني في مكان ليس في أحد غيري، وإن أجمع لأمرني أن أنتقل إلى أهلي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل امكثي مكانك حتى يبلغ الكتاب أجله»، قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً. (انظر تفسير الطبري ٢٥٩/٥، وصحيح سنن أبي داود ح ١٩٩٢).

[فائدة: فإن قيل: إن الآية الناسخة متقدمة في سورة البقرة، آية ٢٣٤، والآية المنسوخة متأخرة، آية ٢٤٠. والناسخ ينبغي أن يكون متأخراً عن المنسوخ؟

قيل: هو في التنزيل متأخر وفي التلاوة متقدم. فإن قيل: فلم قدم في التلاوة مع تأخره في التنزيل؟ قيل: ليسبق القارئ إلى تلاوته ومعرفة حكمه حتى إن لم يقرأ ما بعده من المنسوخ أجزاءه، (النكت والعيون للماوردي ٣٠٢/١).

٢- النسخ ما بين آية وحديث.

قوله سبحانه ونعالي: **(أَيُّ لَحْمٍ لَيْلَةَ النِّسَاءِ أَرَمْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ)** من لَيْسَ نَكَمٌ وَمَنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ نَكَمٌ كُنْتُمْ تَحْبَبُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ (البقرة: ١٨٧)، فالآية ناسخة لحكم سابق - لكن هذا الحكم لم يرد في القرآن - وإنما كان ثابتاً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت الآية ناسخة له، وهذا الحديث أخرجه البخاري بسنده عن البراء رضي الله عنه، قال: كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته

عنه أوجب النبي صلى الله عليه وسلم الغسل على من جامع أهله وإن لم ينزل المنى.
ولا نستطيع هنا أن نجمع بين الأحاديث، فإما الاغتسال أو عدم الاغتسال.

دفع التعارض:

أولاً: التأكد من صحة الأحاديث: الأحاديث الثلاثة في الصحيح.

ثانياً: حديث أبي هريرة رضي الله عنه ناسخ للحديثين الأولين وما في معناهما.

قال النووي: العمل على هذا الحديث (حديث أبي هريرة رضي الله عنه)، وأما حديث (الماء من الماء) فالجمهور من الصحابة ومن بعدهم قالوا: إنه منسوخ (شرح النووي على مسلم ٣٦/٤).

ويؤكد هذا ما ورد عن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جعل ذلك رخصة للناس في أول الإسلام، كقلة الثياب، ثم أمر بالغسل، ونهى عن ذلك. قال أبو داود: يعني: الماء من الماء (صحيح سنن أبي داود وغيره).

وقد أورد الطحاوي في شرح معاني الآثار عدة أحاديث وأثار في هذه المسألة، ومنها أن عمر لما اختلف الصحابة في هذه المسألة أرسل من يسأل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فقالت عائشة رضي الله عنها: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل. (انظر شرح معاني الآثار ٥٣/١-٦١).

تنبيه: حديث (إنما الماء من الماء) ما نُسخ فيه هو مفهوم المخالفة فقط، ولم يُنسخ منطوق الحديث، فالمنطوق: وهو إيجاب الغسل بنزول المنى، هذا لا خلاف فيه. أما مفهوم المخالفة وهو عدم إيجاب الغسل عند عدم نزول المنى، فهو الذي نُسخ.

ثالثاً: الترجيح:

هو تقوية أحد الدليلين عن الآخر، ولا يكون إلا مع وجود التعارض، ولا يصار إليه إلا بعد محاولة الجمع بين الأدلة المتعارضة - كما سبق -، فكما علمنا فإن الجمع مقدم على الترجيح، ولا يجوز ترجيح أحد الدليلين المتعارضين على الآخر بدون دليل؛ إذ إن ترجيح أحد الدليلين المتعارضين عن الآخر بدون دليل تحكم، وهو باطل: فلا يجوز في الشرع التخير بالتشهي والهوى بلا دليل ولا برهان.

ومحل الترجيح هو الظنيات، حيث إن التعارض لا يكون إلا بين دليلين ظنيين فقط، فلا يمكن التعارض بين دليلين قطعيين اتفاقاً. فكذا الترجيح لا يكون إلا بين دليلين ظنيين: فلا مدخل للترجيح في الأدلة

القطعية؛ لأن الترجيح فرع التعارض. (انظر فتاوى ابن تيمية ١٣/ ١١٠، ١١١، ١٢٠، شرح الكوكب المنير ٦٠٧/٤).

[فائدة: ذكرنا أن التعارض لا يكون إلا بين دليلين ظنيين فقط. فهذا يتطلب - باختصار - معرفة ما هو الدليل الظني؟]

الأدلة تنقسم إلى قسمين من ناحية الثبوت:

١- دليل قطعي الثبوت: وهو ما نقل إلينا بالتواتر من قرن إلى قرن، حتى وصل إلينا، وبالتالي فإن القرآن كله قطعي الثبوت.

٢- دليل ظني الثبوت:

أما السنة فمنها ما هو قطعي الثبوت، ومنها ما هو ظني الثبوت. فالأحاديث المتواترة قطعية الثبوت؛ لأنها نقل جموع عن جموع في كل طبقة من طبقات السند، وأحاديث الأحاد ظنية الثبوت؛ لأنها لم يتحقق فيها شرط المتواتر - من ناحية العدد - مع ملاحظة أن السنة كلها متواترة أو أحادية يجب العمل بها، وإن فائدة هذا التقسيم تكون عند التعارض، وعدم إمكانية الجمع، فيلجأ إلى الترجيح، والتواتر والأحاد من أوجه الترجيح الكثيرة.

وكذلك تنقسم الأدلة من ناحية القطع إلى قسمين: قطعي الدلالة، ظني الدلالة، وهذا يكون في القرآن وفي السنة:

١- دليل قطعي الدلالة: وهو ما دل على معنى متعين فهم منه (معنى واحد) ولا يحتمل تأويلاً، ولا مجال لفهم معنى غيره (انظر علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٣٥)، مثال ذلك، قوله تعالى: (الْأَنبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ كُلٌّ خَشَعَ الصَّوْتُ لِلَّهِ النَّورِ)، فهذا نص قطعي الدلالة في حد الزنا، لا وجه للخلاف فيه بين أحد من أهل العلم.

٢- دليل ظني الدلالة: وهو ما دل على معنى، ولكن يحتمل أن يصرف هذا المعنى أو يؤول أو يراد معنى غيره. (انظر المرجع السابق).

مثال ذلك: قوله تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْصِدْنَ أَنْفُسَهُنَّ تَلَفَةً لَّزُورٍ) (البقرة: ٢٢٩)، «فالقرء» عند العرب يطلق على الحيض، وكذلك على الطهر؛ لذا اختلف العلماء في حساب عدة المرأة المطلقة، فمنهم من عدها بالحيضات، ومنهم من جعلها بالأقراء، وهذا من الخلاف السائغ بين العلماء، لأن النص ظني الدلالة، يحتمل المعنيين. وما قلناه عن مثالي القرآن، يقال أيضاً عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

32

فثم رجل يتحدث في الهاتف أو مع الناس بأسلوب جاف وقوي، فإذا تحدث مع النساء خضع لهن بالقول كما تفعل النسوة، فيقع في حباله نساء كثيرات يفتن بهن ويفتن به، فكل ذلك من السبل الداعية إلى هذه الرذيلة، وإلى هذه الفاحشة، فاحشة الزنا والعياذ بالله!

٢- حرمة سماع الغناء:

ومن السبل الموصلة إلى هذه الفاحشة سبيل الاستماع إلى الغناء المصحوب بالمعازف الذي يهيج الكامن ويثير الشر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف) (رواه البخاري).

فكل أغنية مصحوبة بالموسيقى أو بالمعازف حرام، فالمعازف حرام لما سمعتموه من نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام، وكذلك تلك الأغاني التي لم تصحب بالمعازف، ولكنها تزين الفحش وترغب في الفجور، كتلك الأغاني الساقطة الهابطة، التي تقول فيها امرأة: خذني بحنانك خذني، ونحو هذه الأغاني الهابطة الساقطة، التي لا تنم إلا عن فحش، ولا تنفع إلا إلى شر، فالاستماع إلى ذلك فيه نشر للفساد، والله يقول في كتابه الكريم: **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرَ** (البقرة: ٢٠٥).

٣- حرمة التبرج والتسפור:

وكذلك من السبل الموصلة إلى هذه الفاحشة، التبرج المزري الذي يفعل الآن، تخرج النساء كاسيات عاريات، كأنه خفي عليهن قول نبيينا محمد عليه الصلاة والسلام: (صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما، نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رعوسهن كاسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) رواه مسلم.

فهذا التبرج المزري الذي نهى عنه ربنا في قوله: **وَلَا تَجْعَلْنَ بَيْنَكُمْ أَلْجَمِيَّةَ الْأُولَى** (الأحراب: ٣٣) من أعظم الدوافع إلى الشر، ومن أعظم الدوافع إلى الفساد، كيف يفعل هذا الشاب الممتلئ رجولة وفحولة إذا رأى امرأة تسير في الطريق بهذه المناظر القبيحة؟ كيف يفعل الشاب إذا نظر إلى فيلم مؤداه الدعوة إلى الرذيلة ومضمونه قصة حب أو عشق تؤول إلى زنا والعياذ بالله؟ كيف يفعل هذا الشاب إذا رجع إلى بيته ووجد أمامه في البيت أخته المتبرجة هي الأخرى؟ ألا يؤول ذلك إلى فعل الفواحش حتى مع المحارم والعياذ بالله؟!

إن التبرج نهى عنه ربنا ونهى عنه نبيينا محمد عليه الصلاة والسلام أيما نهى، بل قال نبيينا عليه الصلاة والسلام حاثاً على ستر المرأة لجميع بدنها، قال عليه الصلاة والسلام: (المرأة عورة، فإذا خرجت

استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون المرأة من ربها وهي في قعر بيتها) رواه الترمذي بسند صحيح.

ومن ثم جاءت نصوص نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام تحث المرأة على القرار في البيت، إذ هي بخروجها تطمع الشريرين فيها، وتتسبب في الغواية بها: (صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، وصلاتها في حجرتها أفضل من صلاتها في بيتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في حجرتها) رواه أبو داود بسند صحيح.

وكذلك لا يخفى عليكم أن المرأتين اعتذرتا إلى موسى لما سألهما فقال لهما: (

حَقُّ بَصِيرَةِ الزَّكَاةِ وَأَنْتَا خَشِيعٌ كَبِيرٌ) [القصص: ٢٣] أي: إنما الجائنا الضرورة إلى أن نخرج من بيوتنا وإلى أن نسقي الأنعام، فأبونا شيخ كبير، فلم تكن الفضليات يخرجن إلا للضرورات، وعند الحاجات، وعند الملهمات، فالقرار في البيت من أفضل الوسائل للابتعاد عن جريمة الزنا، وعن الافتتان بالنساء، فإن الفتنة بالنساء من أعظم الفتن على الإطلاق، إذ قال ربنا: **(زَيْنَ النَّاسِ خُبْرُ الشَّهَوَاتِ مِنَ الزَّكَاةِ)** [ال عمران: ١٤] فصرت الشهوات بالنساء، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) رواه مسلم.

وكذلك قال عليه الصلاة والسلام: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) رواه البخاري.

فهذه سبل نكرنا بها نبيينا محمد عليه الصلاة والسلام، وحذرنا من كل سبيل يدعو إلى الوقوع في هذه الفاحشة.

٤- حرمة الخلوة بالمرأة الأجنبية:

ومن السبل الداعية إلى هذه الفاحشة والميسرة لها، الخلوة بالنساء الأجنبية اللواتي لسن بمحارم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إياكم والدخول على النساء، قال رجل: أفرأيت الحمى يا رسول الله -أي: قريب الزوج؟ قال: الحمى الموت) متفق عليه.

هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام، فالذين يتساهلون ويدخلون إخوانهم على زوجاتهم، والذين يتساهلون ويدخلون أبناء عمومتهم على نسائهم، عليهم أن يستمعوا إلى المذكور في حديث النبي عليه الصلاة والسلام: (الحمى الموت)، فلا تتساهل -يا عبد الله- في إدخال رجل أجنبي بينك، وإن كان هذا الرجل قريباً لك، وإن كان هذا الرجل في ظنك تقياً، فإن رجلاً في زمن نبيكم محمد -وهو أفضل الأزمان- دخلوا على نساء فصدرت منهم الفواحش، جاء رجل إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام -كما في البخاري- وقال: (يا رسول الله إن ابني كان عسيفاً عند هذا الرجل -أي: أجيراً عنده- فزنى

بإمراته) متفق عليه.

حدث هذا على عهد نبينا محمد، رجل أجير عند آخر زنى بإمراته.

واقع مؤله:

وقد يقع مثل ذلك الآن مع أقوام قلت غيرتهم، يدخلون المدرس الخصوصي البيت في غياب الرجال، فيدخل يعبت بالبنات، ويعبت بالنساء في غياب الرجل، وهذه خلوة محرمة، وكذلك لا يمكن الطبيب من الخلوة بالمرأة، فالطبيب رجل والمرأة امرأة، وكذلك قد يتخذ الطبيب ممرضة في عيادته، ويدخلها على الرجال، أو هو نفسه يخلو بها، فكم من بلية حدثت بسبب هذه اللقاءات بين الرجال وبين النساء، فلم يبح الله لطبيب أن يخلو بممرضة، ولا لمدرس أن يخلو ب طالبة، ولا لسائق أن يخلو بربة بيت ولا بامراة، ولا لرجل أن يخلو بخادمة في بيته، ولا لمدير أن يخلو بسكرتيرة، كل هذا محرم، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (ألا لا يخلون رجل بامراة فإن ثالثهما الشيطان) رواه الترمذي بسند صحيح.

فجدير بك -يا عبد الله- أن تحرص على نفسك غاية الحرص من هذه الفتنة، ف الجريمة واحدة من هذه الجرائم، وفعله واحدة تنكد عليك بذنك، وتنكد عليك أحرأك، قال النبي عليه الصلاة والسلام قال: (وما فعل قوم الفاحشة إلا ظهرت فيهم الأوجاع التي لم تكن في الأمم من قبلهم) رواه ابن ماجه بسند حسن.

فالحذر الحذر -أيها الناس- من هذه الفتنة الكبرى، ومن مقدماتها، قال تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا زَنَى إِنَّهُ كَانَ فِجْشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) [الإسراء: ٣٢].

٥- حرمة سفر المرأة بدون محرم:

نهى النبي عليه الصلاة والسلام المرأة عن السفر بدون محرم، لماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم المرأة عن السفر بلا محرم؟ منعاً من وقوعها في هذه الفاحشة، فالمرأة بجبلتها ناقصة الدين، وناقصة العقل، تخدع من الماكرين، فمن ثم قال عليه الصلاة والسلام: (لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا ومعها محرم) رواه البخاري.

٦- حرمة تطيب المرأة عند خروجها:

وكذلك نهى النبي عليه الصلاة والسلام المرأة عن التطيب عند خروجها، حتى لا تجذب إليها أنظار الرجال، قال عليه الصلاة والسلام: (أيما امرأة خرجت من بيتها متطيبة فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية) رواه النسائي بسند حسن.

والزنا مراتب كما لا يخفى عليكم، قال عليه الصلاة والسلام: (أيما امرأة شهدت معنا العشاء الآخرة، فلا تمسن طيباً، ولا تمسن بخوراً) رواه مالك في الموطأ.

كل ذلك حتى لا تجذب إليها الرجال، وقال تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا زَنَى إِنَّهُ كَانَ فِجْشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) [النور: ٣١].

٧- التفريق بين الأولاد في المضاجع:

وأمر نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام كذلك بالتفريق في المضاجع داخل البيوت، فلا تترك ابنتك المراهقة الشابة متبذلة في ثيابها أمام إخوانها الذين قد امتلئوا فحولة، وتركهم ينامون في فراش واحد، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (علموا أولادكم الصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع) رواه أبو داود بسند صحيح.

هكذا أدبكم نبيكم محمد عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، فالتمسوا سنته، واقفوا أثره، واهتدوا بهديه، عسى الله سبحانه أن يلحقكم به في أعلى جنة الخلد التي أعدت للمتقين.

٨- تحريم النظر إلى النساء:

جاء في شريعتنا تحريم كل سبيل يؤدي إلى هذه الفاحشة، سدت كل الذرائع التي توصل إلى هذه الفاحشة، ابتداءً من النظر إذ قال ربنا سبحانه:

(قُلْ لِلنَّاسِ حُكْمُ اللَّهِ يَنْظُرُونَ أَفْصَحُ مِنْ أَفْصَحِهِمْ وَنَحْنُ أَزْكَى لَمْ يَأْتِ اللَّهُ خَيْرَ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِمَنِ أَفْصَحُهُمْ وَنَحْنُ أَزْكَى لَمْ يَأْتِ اللَّهُ خَيْرَ بِمَا يَصْنَعُونَ) [النور: ٣٠-٣١]، فجاء تحريم النظر

المحرم الذي يتول بصاحبه إلى هذه الفاحشة، وسواء كان النظر إلى أجساد العاريات، أو كان النظر إلى المجلات الساقطة الهابطة التي تنتشر صور العرايا من النساء، مهيجة للناس على فعل الفواحش كما قال ربنا: (وَرَبُّهُ الْكَرِيمُ يُجَنِّبُكُمْ أَلْتَشْوَاهُ أَنْ تَجْعَلُوا مَثَلًا عَظِيمًا) [النساء: ٢٧].

فالنظر إلى الصور العارية في المجلات، وكذلك إلى المناظر العارية في أجهزة الإعلام من تلفاز وإنترنت وفيديوهات كل ذلك محرم، النظر إلى المناظر العارية المهيجة للشهوات والمعينة على الفسق والفجور كل ذلك محرم ومنوع، وكذلك ما يفعله شرار الشباب الفساق الذين يتجولون على المحلات التي تباع ملابس النساء الداخلية، فينظرون إلى قمصان النساء ويتغزلون فيها، فكل ذلك من النظر المحرم، إذ كان يثير الشهوات ويشجع عليها، وكذلك النظر إلى المردان الذي يتول إلى فعل الفواحش بهم ومعهم، كل ذلك حرمه جمهور العلماء؛ صيانة للإنسان، ودرءاً لهذه الفتنة العظمى والبلية الكبرى بلية الزنا، التي تفسد على الشخص حياته وتنكد عليه معيشته.

فالول سبيل يؤدي إلى الفاحشة النظر، ولذا حرمه الله سبحانه بالآيات التي سمعتم، وقد

التربية على العفة والاستعفاف

أ. حبيب التريدي

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل

خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة

ولا أن ما يخفى عليه يغيب

راود رجل أعرابية في ليلة شديدة الظلمة، وقال لها: «والله، ما يرانا إلا الكواكب، فقالت: فاين مكوكبها؟»

والتقوى: هي علم القلب بقرب الله سبحانه.

٢- إحياء الآداب الإسلامية:

كآداب النظر والخلطة والاستئذان: فإذا أهمل العبد هذه الآداب الإسلامية دخل عليه الشر، فمن أطلق لحظاته دامت حسراته.

قال بعضهم:

كل الحوادث مبدؤها من النظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فعلت في قلب صاحبها

فعل السهام بلا قوس ولا وتر

والمرء مادام ذا عين يقلبها

في أعين الناس موقوف على خطر

بسر نقيب د حسر نهج

لا مرحبا بسرور عاد بالضرب

وكذا البعد عن أماكن الاختلاط والفجور، والتبرج والسفور، ومخالطة أصحاب الشهوات، والمعرضين عن طاعة رب الأرض والسماوات؛ فإن في خلطة هؤلاء ترغيباً في الدنيا الدنية والشهوات الدنيوية، أما مخالطة أهل الزهد والورع والرغبة في الآخرة، فإنها ترغّب في ما عند الله من نعيم وتزهد في زينة الدنيا الفانية.

وكذا مراعاة آداب الاستئذان؛ فلا يهجم على أحد بغير استئذان، ولا يقف أمام الباب عند الاستئذان:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، واله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن مما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم الذي يهدف إلى إقامة المجتمع المسلم، وإعادة الخلافة على منهاج النبوة، التربية على العفة والاستعفاف، وسبق في العدد الماضي الحديث عن هذا الموضوع ونكمل في هذا العدد فنقول وبالله تعالى التوفيق: الطريق إلى العفة:

فمن أراد الوصول إلى هدف سام ينبغي له أن يسلك الطريق الموصلة إليه، وأن يأخذ بأسباب تحصيله، فما هي الأسباب الموصلة إلى العفة؟ وبمعنى آخر: كيف يكون الاستعفاف؟ الذي هو طلب العفة.

وهذه جملة أسباب بحسب الاجتهاد لا الحصر:

١- تقوية الإيمان:

فإذا ضعف إيمان العبد صار لا يتورع عن المعاصي والشبهات، ويتكاسل عن الطاعات الواجبات؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن... » [رواه البخاري: (٦٨٠٦)، ومسلم (١٠٣١)].

فإذا كانت شجرة الإيمان ضعيفة في قلب العبد؛ فإنها لا تثبت إذا أتنها عواصف الشهوات أو الشبهات؛ فمن أراد الثبات على الإيمان والبعد عن معصية الملك الديان فعليه بتقوية شجرة الإيمان، وإحياء وازع التقوى، واستشعار مراقبة الله عز وجل له، قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ لِّشَهْوَتِكَ دِينًا خَبِيرًا﴾ (الحديد: ٤).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بيان درجة الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فهو يراك» [رواه البخاري (٥، ٤٧٧٧)، ومسلم (٨)، (٩)].

ومهما استشعر القلب حلاوة الإيمان والمراقبة فإنه يستحى من مخالفة أمره، وارتكاب نهيه:

ما يثير فتنة، ولا يظهر شيئاً من حسن أو جمال، وجعل لباس المرأة لا يصف الجسم، ولا يشف عنه. قال عليه الصلاة والسلام: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مُميلات مائلات رعوسهن كاسخمة البُخْت المائلة؛ لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» والحديث رواه مسلم (٢١٢٨). [تربية المراهق] (ص: ١٠٩).

وقال النووي: «هذا الحديث من معجزات النبوة؛ فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان، وفيه ذم هذين الصنفين». قيل: معناه كاسيات من نعمة الله، عاريات من شكرها، وقيل: تستر بدنهن وتكشف بعضهن إظهاراً بحالهن ونحوه، وقيل: معناه تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنهن، أما مائلات فقيل معناه عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه، ميلات أي يعلمن غيرهن فعلهن المذموم، شرح النووي على صحيح مسلم، (٩٥٦/١٤).

٤- التبركع بالزواج:

عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» [رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)].

فإذا بلغت الفتاة سن الزواج، وتقدم لها من هو كفء لها؛ فعلى وليها أن يبادر بتزويجها، وكذا الشاب إذا كان عنده مؤن الزواج أو يملك والده أن يزوجه، فعليه أن يبادر إلى تزويجها؛ فإن الزواج أغض للبصر، وأحصن للفرج، وإن لم يفعلوا ذلك تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

يقول الدكتور بدر محمد بدر: «حثت السنة المطهرة على المسارعة بتزويج الشباب؛ فالزواج سبب من أسباب الاستقرار النفسي والإشباع الغريزي الفطري عن طريق نظيف مشروع، وذلك حتى يسلم الشباب من الانحلال الخلقي، وشيوع الفاحشة، والاتصال الحرام، وتفشّي الأمراض الفتاكة بين الشباب، تلك الأمراض التي تقضي على النسل، وتوهي القوة، وتنتشر الوباء، وتكون سبب العداوة والبغضاء» [منهج السنة النبوية في تربية الإنسان] (ص: ١١٩).

ويقول الدكتور عبد العزيز بن محمد النعيمشي ما ملخصه: «وهكذا نجد أن الإشباع الغريزي حاجة

حتى لا تقع عينه على عورة غافلة، وقد قدمنا في باب التربية على الآداب النبوية والسنن المصطفوية هذه الآداب بشيء من الإسهاب، فلا نطيل بذكرها، والله الهادي.

٣- البعد عن المثيرات الجنسية:

قال الدكتور عبدالله ناصح علوان: «من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربي أن يجنب ولده ما يثيره جنسياً ويُفسده خلقياً، وذلك حينما يبلغ الولد سن المراهقة، وهو السن الذي يتراوح ما بين العاشرة إلى البلوغ.

ولقد أجمع علماء التربية والأخلاق على أن مرحلة المراهقة هي من أخطر المراحل في حياة الإنسان، فإذا عرف المربي كيف يُربي الولد، وكيف ينتشله من أوجال الفساد وبيئات الانحلال، وكيف يوجهه التوجيه الأمثل: فعلى الأغلب أن الولد ينشأ على الخلق الفاضل، والألب الرفيع، والتربية الإسلامية السامية». [تربية الأولاد في الإسلام (٢/ ٥٢٣)].

- فمن المثيرات الجنسية التي ينبغي أن يتجنبها الشباب: أماكن التبرج والتهتك والفسفور، كالأسواق، والشواطئ، وأماكن اللهو والمتنزهات.

- ومن المثيرات الجنسية: الصور الفاضحة التي تمتلئ بها الجرائد والمجلات التي يقوم عليها تجار الشهوات، والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

- ومن ذلك المسلسلات الهابطة والأفلام الساقطة التي تعرض على شاشنة التلفاز والفيديو وأجهزة استقبال البث المباشر التي تنقل إلى بيوت المسلمين الحياة الغربية العفنة التي مات فيها الحياء، وذهبت الغيرة، وضاعت الأخلاق، واختفت معاني الشرف والمروءة، وصار الناس أضل من البهائم: (يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ).

فإذا ألف الناس رؤية المتبرجات والمتهتكات، ورؤية الاختلاط الماجن بين الرجال والنساء؛ فإنهم لا يستقبحون القبيح، ولا ينكرون المنكر، فينبغي أن يصون المسلم سمعه وبصره وجوارحه من كل ما يثيره؛ حتى يحيا حياة عفيفة طاهرة مطمئنة نظيفة.

ومن أجل منع الإثارة الجنسية: أوجب الإسلام على المرأة إذا بلغت سن الرشد الإلتزام بالحجاب عند خروجها، وجعل للورة حدوداً فلا يكشف من المرأة

٦- **ومما يعين على العفة: التسامي والاستعفاف:**
عملاً بقول الله عز وجل: (وَسَعَىٰ لَهَا لَهْفًا فَقِيلَ لَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُخَلِّصُهُمْ مِنَ النَّارِ أَوْ يَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (النور: ٣٣).

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه وجاء» [رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)].

والمقصود بالتسامي والاستعفاف: هو أن يجتهد المسلم بكل طاقته في العبادة والطاعة والدعوة إلى الله عز وجل، وأن يكثر من الصيام الذي يكسر الشهوة، وتذل به النفس، فيقوى عليها المؤمن ويطوعها لله عز وجل، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل والمعاصي، وقد وعد الله من سلك طريق العفة والاستعفاف بتيسير أمر الزواج الذي يشبع فيه العبد نفسه بما شرعه الله عز وجل واحله، فقال تعالى: (وَيَسَعَىٰ لَهَا لَهْفًا فَقِيلَ لَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُخَلِّصُهُمْ مِنَ النَّارِ أَوْ يَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (النور: ٣٣).

قال الدكتور عبدالله ناصح علوان ما مخلصه:

فالتسامي هو أن تنفّس عن نفسك بجهد روحي، أو عقلي، أو قلبي، أو جسدي، يستنفذ هذه القوة المدخرة، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة بالالتجاء إلى الله، والاستغراق في العبادة، أو بالانقطاع إلى العمل، والانغماس في البحث، أو بالجهد الجسدي والإقبال على الرياضة، والعناية بالتربية الدينية، أو البطولة الرياضية. [تربية الأولاد في الإسلام (٥٩٣/١)].

٧- **ومما يعين على العفة: معرفة بعض المواقف الإيمانية في العفة والاستعفاف:**

كموقف نبي الله يوسف عليه السلام وعفته عن امرأة العزيز، وهي التي راودته عن نفسه، وهو في بيتها، وغلقت الأبواب، وقالت: هيت لك. فاعتصم بالإيمان ولجأ إلى الله الرحمن وقال: (مَعَادَ اللَّهِ إِنَّ رَبِّي أَنسَنُ مِنَّا) (يوسف: ٢٣).

ومن ذلك قصة مرثد بن أبي مرثد الصحابي رضي الله عنه، عندما دعتة عناق للزنا فابى وقال يا عناق إن رسول الله قد حرم الزنا. وانظره مفصلاً عند أبي داود (٢٠٥١).

وغير ذلك من المواقف الإيمانية الشريفة، وقد ذكرنا جملة من ذلك في كتاب «مواقف إيمانية»، فلا نطيل بإعادة ذكرها، والله المستعان.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

ملحة في مرحلة المراهقة، وأن النضج المبكر يقتضي الإشباع المبكر، ويكون ذلك بالزواج المبكر، والزواج المبكر هو الأصل والطريق الطبيعي الفطري لتلبية الحاجة الغريزية، والشوق والميل إلى الجنس الآخر؛ بسبب هذه الحاجة الملحة، والأسباب الأخرى أمر يقَعده المنهج الإسلامي ويؤصله، وبين الأسلوب الناجح في إشباعه وتوجيهه، وقد سبقت الإشارة إلى أن المنهج الإسلامي منهج فطري واقعي في كل مطالبه وتشريعاته. [المراهقون.. دراسة نفسية إسلامية للأبناء والمعلمين والدعاة (ص: ٨٧ - ٨٨)، دار طيبة].

٥- **اختيار الصحبة الصالحة:**

التي ترشد إلى الخير وتعين عليه، وتحذر من الشر وتمنع منه؛ فمن أراد سلامة دينه ودنياه، وصيانة نفسه وعفتها وكرامتها؛ فعليه بالانضمام إلى رفقة صالحة تؤنس في غربته، وتعينه على طاعته، فليس شيء أنفع للعبد من مجالسة الصالحين والنظر إلى أفعالهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء؛ كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة».

فمن وفق للصحبة الصالحة أخذت بيده إلى طريق العفة والنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة. ومن سقط في رفقة فاسدة أضاعت عليه دنياه وآخرته، ولم ينل منهما إلا الصفقة الخاسرة والتجارة البائرة.

يقول الأستاذ محمد حامد الناصر:

«ولعظم الأثر الذي تحدثه الرفقة، ووضوح هذا التأثير في شخصية الصديق وسماته صار المربون والمجربون يعرفون المرء من رفقاته وجلسائه، ويقومونه بمعرفتهم لأصدقائه وقرنائهم، وقد جاء في الأثر: «وإياك وقرين السوء؛ فإنه به تعرف». ونادى الحكماء باستخدام هذا المقياس الدقيق للتعرف على شخصية الإنسان وسمائله، حتى قال بعضهم:

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن يقتدي
[تربية المراهق في رحاب الإسلام (ص: ٢٤٨) ط دار رمادي للنشر ودار ابن حزم].



الإسلام

دين وسط

(٢)

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

جمال عبد الرحمن

عداد

الحمد لله والحمد لله على رسول الله، وبعد
فقد نظرنا في السيرة المصطفوية فوجدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حطامات لما كان في عهد
نوم انصرف عن الأمرين لا يحسن من العسر
إلا في على فليتمه فمؤلف حسن فمؤلف
فحسب في على فليتمه فمؤلف حسن فمؤلف
أحرار لا يحسن إلا حبيب محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وإن كان مؤلف قد كتب في
الله عليه وسلم وقد كان من العربيين

ومن مؤلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سار
العربيين من فمؤلف احسنهم في رسول الله
عن مؤلفه في عهد العرب والانساف والموسطين
والمحسنيين وسكن في عهد مؤلفه
من مؤلفه من رفق بالمطالعين حتى لا يفرح من
حرب الله صلى الله عليه وسلم في طريق الله
مؤلفه ولا حزن حزنه على ما يرد وحقه في
بينه فما جعل الإسلام وبه عظم وسطيته
أحد

وذكرت في عهد حزن مؤلفه وسطيته
الحسن والمسلم عند سار وسطيته
أداء العبادات وإن لم يكن صلى الله عليه وسلم
بهي عن الله والبرية والسند في الدين وفي
به طريقه في عهد مؤلفه في عهد مؤلفه
في عهد الحلفاء في عهد مؤلفه في عهد مؤلفه

له في عهد مؤلفه في عهد مؤلفه

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحدًا لن
يغلب الدين بالتشدد أو بالتفريط فيه، بل إن الدين
هو الذي يغلب كل مخالف فيه.

فمن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الدِّينَ بُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ
الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدُّوا، وَقَارِبُوا، وَأَنْبَشُوا،
وَأَسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرُّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ».
[صحيح البخاري ١٦/١].

والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك
الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب.

وقوله: «فَسَدُّوا» أي: الزموا السداد، وهو
الصواب من غير إفراط ولا تفريط، والسداد:
التوسط في العمل. وقوله: «وَقَارِبُوا» أي: إن لم
تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب
منه. قوله: «وَأَنْبَشُوا» أي: بالنواب على العمل
الدائم وإن قل. وقوله: «وَأَسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ»
أي: استعينوا على مداومة العبادة بفعلها في
الأوقات المنشطة، وهي أول النهار، ما بين صلاة
الفجر وطلوع الشمس. وَالرُّوْحَةُ بالفتحة: السير

بعد الزوال. والدُّلْجَةُ: السَّيْرُ آخر الليل، وقيل: سير الليل. والحديث نص في أن الدين يسر، وأن الدين قصد واخذ بالأمر الوسط [تعليق مصطفى البغا على صحيح البخاري ١/ ١٦].

٥ - وسطية الإسلام في المعاملات:

١. العدل بين ضعاف الرعية وأقويائها:

لما ولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة حمد الله تعالى واتى عليه بالذي هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فاعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف [عندي] حتى أخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل ولا تسيع الفاحشة في قوم إلا أعظمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يزحمكم الله، وهذا إسناد صحيح. [البداية والنهاية ٦/ ٣٣٣].

وفي هذا الأثر تظهر وسطية الإسلام وعمله بين صغير أفراده وكبيرهم، وإنصافه لضعيفهم من قويهم، لأنهم إن لم يكونوا كذلك فلا قداسة لهم عند الله ولا تكريم. عن جابر مرفوعاً: «كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لضعيفهم من شديدهم؟» [ابن ماجه: ٤٠١٠، وقال الألباني: صحيح].

ب- ومثل ذلك أيضاً العدل بين الأولاد والزوجات عن العمام بن بشير، قال: تصدق علي أبي ببغض ماله، فقالت أُمِّي عُمْرَةُ بنت رَوَاحَةَ: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليشهد علي صدقتي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفعلت هذا بولدك كله؟» قال: لا، قال: «اتقوا الله، واعدوا في أولادكم»، فرجع أبي، فردت تلك الصدقة [صحيح مسلم ٣/ ١٢٤٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقة ساقط، أي ذاهب أو أشل. [سنن الترمذي ٣/ ٤٣٩]. صحيح.

ج. العدل بين الناس ولو كانوا أعداء:

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَحْرِمَنَّكُمْ شَتَائِ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْلَمُونَ) [المائدة: ٨]، يعني لا يحملنكم بغضهم على

عدم العدل، اعدلوا ولو كنتم تبغضونهم.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه عز وجل يقول: «أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى». [مسند أحمد ٣٠/ ٢٦٥] حديث صحيح.

ولهذا لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى أهل خيبر ليخرص (ليُقَدِّرَ) عليهم ثمر النخل، وكان اليهود يزرعون الأرض للمسلمين على النصف، فحدث أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قسم لهم نصيبهم وخيرهم أن يأخذه أو يأخذوا النصف الآخر، فعرفوا أن هذا هو العدل بعينه، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض! أي بالعدل.

قال ابن حبان: «وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام يخرصها عليهم، ثم يضمهم الشطر، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه، وأرادوا أن يرشوه فقال عبد الله: يا أعداء الله! أقطعوني الشئ، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي، ولأنتم أنقض إلي من عندكم من الفردة والخنازير، ولا يخليني بغضي إياكم وخبي إياي على أن لا أعبل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض. [صحيح ابن حبان - ١١/ ٦٠٨] وإسناده صحيح.

فانظر أخي إلى أثر العدل والوسطية في استخراج شهادة أعداء الملة لأهلها، وثنائهم على هذا الدين وأهله. يا ليت قومنا في أزماننا يمتلكون هذه المعاني.

د- احترام العهود ولو كانت مع المشركين، ولو اضطر المسلم لهذا العهد:

الإسلام دين نقي نظيف، طاهر عفيف، لا يعرف أن يجور أو يحيف، ولا يقبل المراوغة والتزييف، ولا يرضى لأوليائه أن يظهروا بمظهر غير لائق، يصد الناس عن دعوة الحق وتضع الحقائق.

ومن نصوص العدل والإنصاف التي ظهر وسطية الإسلام

جاء في هذا الخبر:

حدثنا حذيفة بن اليمان، قال: ما معني أن أشهد بئرا إلا أني خرجت أبا وأبى حسيل، قال: فأخذنا كفار قريش. قالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لنصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرناه الخبر، فقال: «انصرفوا، نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم». [صحيح مسلم ٣/ ١٤١٤].

قال النووي رحمه الله تعالى: أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يُشْبِعَ عَنْ أَصْحَابِهِ نَقْصَ الْعَهْدِ، وَإِنْ كَانَ لَا يَلْزَمُهُمْ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْمَشِيعَ عَلَيْهِمْ لَا يَنْكَرُ تَأْوِيلًا. [شرح النووي على مسلم ١٢/ ١٤٤].

صحيح أن الذي يشيع عنهم، ويشنع عليهم لن يتلمس لهم عذراً، ولن يعرف لهم قنراً، ولن يبغى لهم أجراً. وعند أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحذيفة وأبيه: (قُوا لَهُمْ)؛ أَمَرَ حَذِيفَةَ وَأَبِيهِ بِالْوَفَاءِ لِلْمُشْرِكِينَ بِمَا عَاهَدُوهُمَا عَلَيْهِ حِينَ اخْتَوَهُمَا، أَنْ لَا يَقَاتِلُوهُمْ، فَقَبِلَ عَذْرَهُمَا وَأَمَرَهُمَا بِالْوَفَاءِ. (وَسَيَسْتَعِينُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) أَي عَلَى قِتَالِهِمْ فَإِنَّمَا النَّصْرُ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ لَا بِكَثْرَةِ عَدَدٍ وَلَا عُدَّةٍ، وَقَدْ أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَتْ وَاقِعَةً أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا الْإِسْلَامَ وَاهْلَهُ. (رواه أحمد، عَنْ حُذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ). [التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ١٧٤].

ومن النماذج العالية في أداء الأمانات:

هـ - موقف أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت المصطفى صلى الله عليه وسلم:

- عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: حَنَنْتَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ حَزْمٍ قَالَ: خَرَجَ أَبُو الْعَاصِ (زَوْجُ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَكَانَتْ مَعَهُ بَضَائِعُ لُقْرِيشَ، فَاقْبَلَ فَلَقِيَتْهُ سَرِيَّةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنُوا عِزَّهُ وَهَرَبَ، وَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا أَصَابُوا فَقَسَمَهُ بَيْنَهُمْ، وَاتَى أَبُو الْعَاصِ حَتَّى يَخْلُ عَلَى زَيْنَبَ فَاسْتَجَارَ بِهَا، وَسَالَهَا أَنْ تَطْلُبَ لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَّ مَالِهِ عَلَيْهِ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّرِيَّةَ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ (يَعْنِي أَنَّهُ زَوْجُ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ)، وَقَدْ أَصْبَحَ لَهُ مَالٌ وَلِغَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ، وَهُوَ فَيٌّ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَرْتَبُوا عَلَيْهِ فافْعَلُوا، وَإِنْ كَرِهْتُمْ فَانْتُمْ وَحَقَّكُمْ». قَالُوا: بَلْ نَرِيهِ عَلَيْهِ. فَرَبُّوا وَاللَّهِ عَلَيْهِ مَا أَصَابُوا، ثُمَّ خَرَجَ أَبُو الْعَاصِ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَادَّى إِلَى النَّاسِ بِبَضَائِعِهِمْ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشَ، هَلْ بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ مَعِيَ مَالٌ؟ قَالُوا: لَا؛ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا. فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ مَا مَنَعَنِي أَنْ أَسْلِمَ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ أَقْدِمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَخَوُّفًا أَنْ تَقْلَبُوا أَنِّي إِنَّمَا أَسْلَمْتُ لِأَنْهَبَ بِأَمْوَالِكُمْ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وعن الشعبي، قال: قدِمَ أَبُو الْعَاصِ مِنَ الشَّامِ وَمَعَهُ أَمْوَالُ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ أَمْرَاتُهُ زَيْنَبُ وَهَاجَرَتْ.

فقيل له: هَلْ لَكَ أَنْ تُسَلِّمَ وَتَأْخُذَ هَذِهِ الْأَمْوَالَ الَّتِي مَعَكَ؟ فَقَالَ: بَلَسَ مَا أَبْدَا بِهِ إِسْلَامِي أَنْ أَخُونِ أَمَانَتِي. وَكَلَّفَتْ عَنْهُ أَمْرَاتُهُ أَنْ يَرْجِعَ فَيُؤَدِّيَ إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ؛ فَيَرْجِعَ وَيُسَلِّمَ، فَفَعَلَ، وَمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمَا، يَعْنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٢٠٥].

فانظر أيها المسلم إلى هذا السلوك الحميد؛ حيث لم يتجاهل أبو العاص مشاعر قومه وإن كانوا على الشرك، بحيث لا يفزعون على أموالهم حال معرفتهم بإسلامه، أو يتركمهم يسيئون به الظن، ولا يبغى للمسلم أن يجعل من نفسه غرضاً ليسيء الناس به الظن. وكل ذلك من سماحة هذا الدين ووسطيته واعتداله ويسره. ثم إن أبا العاص رضي الله عنه لم يشأ أن يبدأ إسلامه بشيء يشينه في نظر غير المسلمين.

١. الوسطية في الاعتقادات:

وبين الله وسط بين من يتشدد كالخوارج فيكفر من وقع من المسلمين في المعصية، وبين المرجئة المتساهلين الذين يرجئون ويؤخرون العمل عن النية، بمعنى إذا كانت نيتك سليمة فلا يضرك ما فعلت أو ما تركت، وهم الذين يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي:

وَالْمُعْتَزِلَةُ مُؤَافِقُونَ لِلْخَوَارِجِ هُنَا فِي حُكْمِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُمْ وَافِقُوهُمْ عَلَى أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ مُخَلِّ فِي النَّارِ، لَكِنْ قَالَتِ الْخَوَارِجُ: نَسَمِيهِ كَافِرًا، وَقَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ: نَسَمِيهِ فَاسِقًا، فَالْخِلَافُ بَيْنَهُمْ لَفْظِي فَقَطْ.

وأهل السنة متفقون أيضاً على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب، كما وردت به النصوص، لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة؛ وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة، تبين لك فساد القولين؛ ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى.

[شرح الطحاوية - لأبي العز الحنفى، تعليق وتخريج الشيخ الألباني: ص ٣٢٢]

وكذلك بين الله تعالى وسط بين المعطلة الذين عطلوا ونفوا صفات الله تعالى كالسميع والبصير وأنه سبحانه يفرح ويسخط ويقبض ويبسط، وإن له يداً وعيناً؛ زاعمين أنهم لو اثبتوها لله تعالى شبهوه بخلقه، وهؤلاء هم الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم،

لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الْإِجْتِنَابَ. [صحيح البخاري ٨/ ٧٤].

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا (يُخَفِّفُ) بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، كَرَاهَةِ السَّامَةِ عَلَيْنَا، يَعْنِي حَتَّى لَا يَصِيبَنَا الْمَلَلُ. [صحيح البخاري ١/ ٢٥].
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَجْمَعُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ وَاطْلُبُوا لَهَا طَرَفَ الْحِكْمَةِ فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ.

[المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها للخرائطي ص: ١٥١].

٨. الوصية في الانتماءات ثلثا تتولد عداوات

وذم الإسلام التحزب الذي يعتني بالحرزية وأفرادها وأعضائها، فقال الله تعالى: «مَنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا بَيْنَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ». (الروم/ ٣٢).

وَعَنْ جَبْرِ بْنِ مُطْعَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً». [صحيح مسلم ٤/ ١٩٦١].

والمعنى: (لا حلف) لا تعاهد على مثل ما كانوا يتعاهدون عليه في الجاهلية مما يتعارض مع الإسلام.

وأما المؤاخاة في الإسلام والمخالفة على طاعة الله تعالى والتناصر في الدين والتعاون على البر والتقوى وإقامة الحق فهذا باقٍ لم يَنْسَخْ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث: «أَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً». [شرح النووي على صحيح مسلم ٤/ ١٩٦١].

ولما ظهرت العصبية من وراء التحزب والانتماءات غضب النبي صلى الله عليه وسلم ووصفها بالجيفة المنتنة.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ (ضَرَبَ) رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَأَنْصَارِي، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ». [صحيح البخاري ٦/ ١٥٤].

فَمَا انْظَفَ هَذَا الدِّينَ وَأَنْقَاهُ وَاطْهَرَهُ؛ وَكَذَلِكَ رَجَالَهُ، فَاعْتَبَرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ.

وَاللَّحْدِيثُ بَقِيَّةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وبين المشبهة الذين مثلوا وشبهوا الله تعالى خلقه في ذاته وصفاته وقالوا: إن الله جسم وهو موجود فهو محدود.

قال الذهبي: والمقصود بالسلف هم الصحابة والتابعون ومن سار على نهجهم. ولقد كان قولهم في الاستواء كقولهم في سائر صفات الله، فهم وسط بين طائفتين هم المعطلة والمشبهة. فهم لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، ولا ذاته بذوات خلقه كما يفعل المشبهة. وكذلك لا ينفون عن الله ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، فيعطلون أسماء وصفاته، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسمائه وآياته كما فعل المعطلة. بل كان مذهبه في سائر الصفات - بما في ذلك الاستواء - أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نفياً وإثباتاً. وطريقتهم في الإثبات أنهم يثبتون ما أثبتته الله من الصفات من غير تكيف لها، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل. وطريقتهم في النفي أنهم ينفون عن الله ما نفاه عن نفسه مع إثبات كمال ضد ذلك المنفي. [العرش؛ لشمس الدين الذهبي ١/ ١٨٧].

وقال شيخ الإسلام أيضاً: ولو اعتصموا بالكتاب والسنة لاتفقوا كما اتفق أهل السنة والحديث، فإن أئمة السنة والحديث لم يختلفوا في شيء من أصول دينهم، ولهذا لم يقل أحد منهم: إن الله جسم ولا قال: إن الله ليس بجسم. بل أنكروا النفي لما ابتدئته الجهمية من المعتزلة وغيرهم، وأنكروا ما نفته الجهمية من الصفات مع إنكارهم على من شبه صفاته بصفات خلقه، مع أن إنكارهم كان على الجهمية المعطلة أعظم منه على المشبهة؛ لأن مرض التعطيل أعظم من مرض التشبيه. [نراء تعارض العقل والنقل ٥/ ٣٦٧].

٧. الوصية في النصيحة والموعظة

وحتى في الموعظة والنصيحة ينبغي التوسط حتى لا يسام الناس ويملوا؛ كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «حَدَّثَ النَّاسُ كُلَّ جُمُعَةٍ (كُلَّ أُسْبُوعٍ) مَرَّةً، فَإِنِّي أَنَبَيْتُ فَمَرَّتَيْنِ، فَإِن أَكْثَرْتَ فَتَلَاثَ مَرَارٍ، وَلَا تَمَلُ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلَا الْفَيْئَكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ، فَتَقْصُصُ عَلَيْهِمْ، فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتَمْلَهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصَتُ، فَإِذَا أَمْرُوكَ فَحَدَّثْتَهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ، وَأَنْظَرَ السَّجْعَ مِنْ الدُّعَاءِ فَاجْتَنَبْتُهُ»، فَإِنِّي عَهَدْتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ يَعْنِي

قصة خلق العقل



الحلقة
(١٦٤)

علي حشيش

اعداد

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثة حتى يقف القارئ الكريم على حقيقة هذه القصة التي انتشرت على السنة القصاصي الذين يقدمون العقل على النقل، وسلخوا سبيل المعتزلة الذين وضعوا هذه القصة الواهية وغيرها؛ ليؤيدوا بها هذه الفرية، ويهدموا الصحيح الثابت من السنة المطهرة باصطلاحات اجنبية دخلت أثناء الفتوحات الإسلامية بواسطة الكتب اليونانية، فدخلت الفلسفة في العقيدة ووجدت تشجيعاً رسمياً ودعماً قوياً من الخلفاء المعاصرين وفي مقدمتهم المأمون العباسي وموقفه من إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله معروف.

قال له: أقبل فاقبل، ثم قال له: اقعد فقعد، فقال له: ما خلقت خلقاً هو خير منك، ولا أكرم منك، بك أأخذ، وبك أعطي، وبك أعرف، وإياك أعاقب، لك الثواب، وعليك العقاب». اهـ.
ثانياً: التفرغ؛

١- أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٣/٦) (٥٥٩/١) قال: حدثنا عبد الرحمن بن القاسم القرشي الدمشقي، حدثنا يحيى بن صالح الوحاظي، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا الفضل بن عيسى الرقاشي، عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لما خلق الله تعالى العقل...» الحديث.

٢- وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٧٤/١) قال: أنبأنا محمد بن عبد الملك، قال: أنبأنا إسماعيل بن مسعدة، قال: أنبأنا أبو طالب العشاري قال: أنبأنا أبو حفص بن شاهين، قال: أنبأنا حمزة بن يوسف، قال: أنبأنا أبو أحمد بن عدي قال: أخبرنا عبد الرحمن بن القاسم به.

قلت: أي: من طريق ابن عدي نفسه.

ثالثاً: التحقيق

١- هذا الحديث أورده الحافظ الذهبي في «الميزان» (٦٧٤٠/٣٥٦/٣) من طريق ابن عدي

ولقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٢١/٤) حيث قال: «وفي دولة أبي العباس المأمون» ظهر «الخرمية» ونحوهم من المنافقين، وعرب من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين، ورأسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صار بينة وبينهم مودة. فلما ظهر ما ظهر من الكفر والنفاق في المسلمين وقوي ما قوي من حال المشركين وأهل الكتاب؛ كان من أثر ذلك: ما ظهر من استيلاء الجهمية؛ والرافضة؛ وغيرهم من أهل الضلال وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة. وذلك بنوع رأي بحسبه صاحبه عقلاً وعدلاً وإيماناً هو جهل وظلم إذ التسوية بين المؤمن والمنافق؛ والمسلم والكافر أعظم الظلم وطلب الهدى عند أهل الضلال أعظم الجهل فتولد من ذلك مخنة الجهمية حتى أمتحن الأمة بنفي الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته وجرى من مخنة الإمام أحمد وغيره ما جرى مما يطول وصفه.

أولاً: المتن؛

رؤي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لما خلق الله تعالى العقل قال له: قم فقام، ثم قال له: ادبر فادبر، ثم

الذي أوردناه أنفًا وجعله من مناقير الفضل بن عيسى الرقاشي، ثم ذكر عن أحمد بن زهير أنه قال: «سالت ابن معين عن الفضل الرقاشي فقال: كان قاصًا رجل سوء، قلت: فحديثه؟ قال: لا تسال عن القدري الخبيث». اهـ.

٢- قلت: وهذا ربط بين الإسناد والاعتقاد، فقوله: «القدري الخبيث» القدريه هم اتباع معبد الجهني لأنه أول من تكلم بالقدر، وحقيقة مذهبهم أنهم يقولون: إن أفعال العباد وطاعتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقين وأوصافهم، ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، وقالوا: إن الله لم يردّها ولم يشأها

منهم وهم الذين أرادوها وشاءوها وفعلوها استقلالاً، وأنكروا أن يُضِلَّ مَنْ يَشَاءُ ويَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، فاثبتوا خالقاً مع الله، وهذه القدريه مذهب باطل.

أما أهل السنة والجماعة فاثبتوا أن العباد فاعلون حقيقة، وأن أفعالهم تنسب إليهم على جهة الحقيقة لا على جهة المجاز، وأن الله خالقهم وخالق أفعالهم،

قال الله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ» [الصافات: ٩٦].

واثبتوا للعبد مشيئة واختياراً تابعين لمشيئة الله، قال الله تعالى: «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» (٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْمَلَكُوتِ». اهـ.

ذكره الشيخ عبد العزيز السلمان في «الأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية» السؤال (١٥٤).

٣- قلت: وهذا ثابت في أول حديث في صحيح مسلم عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحמיד بن عبد الرحمن الحميري حاجين

أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالناه عما يقول هؤلاء في القدر، فَوَقَّفَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ، دَاخِلًا فِي الْمَسْجِدِ، فَاسْتَفْتَيْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرءون القرآن ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال: فإذا لقيت أولئك فاخبرهم أنني بريء منهم وأنهم برأء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر». اهـ.

٤- قلت: وبهذا يتبين حقيقة قول الإمام ابن معين في الفضل الرقاشي صاحب هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية، وأنه كان قاصًا رجل سوء، وعندما سئل عن حديثه قال: «لا تسال عن القدري الخبيث». اهـ.

قلت: هؤلاء أصحاب الدليل العقلي.

٥- وقال أبو سلمة

التبوكي: «لم يكن أحد ممن يتكلم في القدر أخبث قولاً من الفضل الرقاشي». كذا في «الميزان» (٣/٣٥٦).

٦- قال ابن عدي في «الكامل» (١٣/٦): «سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: فضل بن عيسى أبو عيسى الرقاشي خال المعتمر، قال عبد الله بن محمد عن ابن عيينة قال: كان يرى القدر، وليس أهلاً أن يُرَوَى عنه». اهـ.

ملاحظة مهمة:

نلاحظ أن أئمة الجرح والتعديل مثل الإمام يحيى بن معين والإمام ابن عيينة، والحافظ أبو سلمة التبوكي عند التحذير من الرواية



«المجروحين» (٢٥٩/١) قال: «حفص بن عمر قاضي حلب، شيخ يروي عن الثقات الأشياء الموضوعات، لا يحل الاحتجاج به». اهـ. ضعفه أبو حاتم، وقال أبو زرعة: «منكر الحديث، كذا في «الميزان» (٥٦٣/١).

قلت: فهذه العلة تزيد الحديث وهناً على وهن. خامساً: طريق آخر للقصة

أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١١٦٩/١٧٥/٣) قال: حدثنا أحمد بن داود القوسي، قال: حدثنا أبو همام يعني الوليد بن شجاع، قال: حدثني سعيد بن الفضل القرشي، قال: حدثنا عمر بن أبي صالح العتكي عن أبي غالب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما خلق الله العقل...»

الخبر.

سادساً: تحقيق خبر أبي أمامة

١- قال الحافظ العقيلي: عمر بن صالح العتكي عن أبي غالب حديثه منكر، وعمر هذا وسعيد بن الفضل الراوي عنه مجهولون، ولا يتابع أحد منهم على حديثه، ولا يثبت في هذا المتن شيئاً. اهـ.

٢- وقد أخرج هذا الخبر الذي جاءت به قصة خلق العقل الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٧٥/١) بسنده عن الحافظ العقيلي: «ولا يثبت في هذا المتن شيء». وأقره. ٣- قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٦١٤٦/٢٠٦/٣): «عمر بن أبي صالح، عن أبي غالب لا يُعرف، ثم إن الراوي عنه مشهور بالمنكرات، والخبر باطل في العقل وفضله». اهـ.

سادساً: قاعدة:

ختم الإمام ابن الجوزي أحاديث العقل في الموضوعات (١٧٧/١) قال: «وقد رُويت في

عنه يقرن بذلك بأنه قدرى خبيث؛ من أجل ذلك كان حتماً علينا أن نبين حقيقة مذهب القدرية أصحاب هذا المذهب الذين يقدمون الدليل العقلي على النقل.

٧- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١١٠/٢): «الفضل بن عيسى الرقاشي كنيته أبو عيسى، وهو ابن أخت يزيد الرقاشي، وكان خال المعتمر بن سليمان من أهل البصرة كان قدرياً داعية إلى القدر، وكان يقصّ بالبصرة ممن يروي المناكير عن المشاهير.

رابعاً: علة أخرى:

وأخرج الحافظ ابن عدي هذا الخبر الذي جاءت به قصة العقل مرة أخرى في «الكامل»

(٣٩٠/٢) (٥١٢/١٤٣) في

ترجمة حفص بن عمر يقال له قاضي حلب قال: حدثنا عبد الرحمن بن القاسم، حدثنا يحيى بن صالح الوحاظي، حدثنا حفص بن عمر حدثنا الفضل بن عيسى الرقاشي به.

قلت: فلا يتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحافظ ابن عدي يكرر الحديث، فكما أن الإمام البخاري يكرر

الأحاديث في صحيحه حيث يقطعها في الأبواب؛ بسبب استنباطه الأحكام منها، قال السيوطي في «التدريب» (٩٥/١) فلبخاري من الفضل ما ضمنه في أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار. اهـ.

قلت: كذلك تكرر ابن عدي لهذا الحديث لإظهار علة أخرى في الحديث في ترجمة حفص بن عمر مما يدل على أنه ذكر علة أخرى في الخبر الذي جاءت به هذه القصة وجعله من منكراته وختم ترجمته قائلاً: «ولحفص بن عمر أحاديث غير ما ذكرته، ولم أجد له أنكر مما ذكرته». اهـ.

لذلك ذكره الإمام الحافظ ابن حبان في

ثامنا: قاعدة أهل الحديث لبيان علاقة العقل بالنقل: قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٢/٨٠، ٨١): «إِنْ كُلُّ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لِصَرِيحِ الْمَقُولِ وَأَنَّ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ لَا يُخَالِفُ النُّقْلَ الصَّحِيحَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَغْلُطُونَ إِمَّا فِي هَذَا وَإِمَّا فِي هَذَا فَمِنْ عَرَفَ قَوْلَ الرَّسُولِ وَمُرَادَهُ بِهِ كَانَ عَارِفًا بِالْأَدْلَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَيْسَ فِي الْمَقُولِ مَا يُخَالِفُ الْمَنْقُولَ». اهـ.

ثم قال رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٦/٢٥): «مَنْ قَالَ بِمُوجِبِ تَصَوُّصِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ أَمَكَنَهُ أَنْ يُنَاطِرَ الْفَلَّاسِفَةَ مُنَاطَرَةً عَقْلِيَّةً يَقْطَعُهُمْ بِهَا وَيَتَبَيَّنُ لَهُ أَنَّ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ مُطَابِقٌ لِلْمَسْمُوعِ الصَّحِيحِ». اهـ.

قلت: فلا تغربك القصص الواهية والاحاديث الموضوعة التي تفيد بأن الله سبحانه ما خلق خلقا هو خير من العقل، وتأثروا بهذا الكذب حتى جاعوا بالكذب منه، فقال قائلهم: «إذا تعارض العقل والنقل قدم العقل وأول النقل». اهـ.

قلت: لا يتعارض العقل الصريح مع النقل الصحيح، إنما الذي يتعارض مع النقل الصحيح هو الهوى لقوله تعالى: (وَلَوْ أَسْمَعَ الْأَعْمَى أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْهُمْ عَنْ وَرَثَتِهِمْ مُعْرِضُونَ) [المؤمنون: ٧١].

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

العقول أحاديث كثيرة ليس فيها شيء يثبت: منها شيء يرويه مروان بن سالم وإسحاق بن فروة، وأحمد بن بشير، ونصر بن طريف، وابن سمعان، وسليمان بن عيسى، وكلهم متروكون، وقد كان بعضهم يضع الحديث فيسرقه الآخر، ويغير إسناده، فلم نر التطويل بذكرها. اهـ.

سابعا: تعقيب الإمام ابن القيم لغبر القصة وأحاديث العقل:

قال الإمام ابن القيم في المنار المنيف فصل ١٥: أحاديث العقل كلها كذب كقوله (لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له أدير فادبر....)، وحديث (لكل شيء معدن، ومعدن التقوى قلوب العاقلين)، وحديث (إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والجهاد وما يُجْزَى إِلَّا عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ).

قال الخطيب: حدثنا الصوري قال: سمعت الحافظ عبد الغني بن سعيد يقول: قال الدارقطني: إن كتاب العقل وضعه أربعة: أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المحبر، فركبه بأسانيد غير آسانيد ميسرة، وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء، فركبه بأسانيد آخر ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي فاتى بأسانيد آخر.

وقال أبو الفتح الأزدي لا يصح في العقل حديث، قاله أبو جعفر العقيلي وأبو حاتم بن حبان. والله أعلم.

عزاء واجب

●● تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص العزاء في وفاة شقيقة الشيخ محمد صفوت نور الدين، رحمهما الله، ووالدة زوجة الدكتور/ جمال المراكبي، الرئيس السابق لجماعة أنصار السنة، فنسال الله أن يتغمد المتوفاة بواسع رحمته، وأن يلحقها بعباده الصالحين.

●● كما تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص العزاء في وفاة الأستاذ حسن الجنيدي، قنصل مصر السابق في المملكة العربية السعودية، ووكيل جماعة أنصار السنة المحمدية، وكان رحمه الله من قدامى رجال أنصار السنة، نسال الله أن يغفر له ويرحمه رحمة واسعة.

●● كما تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص العزاء في وفاة الشيخ مصطفى متعب، عضو مجلس إدارة بلبيس، نسال الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته.

قرائن اللغة والقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

قرائن اللغة على حمل (يديه) تعالى على الحقيقة دون المجاز

أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي

عداد

الأستاذ بجامعة الأزهر

الحسية ولا تطلق على وجه الحقيقة على سواها، وإذا أطلقت على غيرها سواء أكان معلوما أو مجهولاً، تكون قد استعملت في غير معناها، ولا تكون بحال من الأحوال مستعملة في ظواهرها وعلى حقيقتها، بل تكون مؤولة، بما يعني أن الألفاظ إذا لم تكن مشتركة فلا تستعمل في حقائقها مرتين، وإنما تقع الحقيقة في موضع استعمالها الأول، فإذا خرجت عنه كانت مجازاً وإن لم يصرح فيها باسم المجاز، كـ (اليد) مثلاً تستعمل حقيقة في العضو المعروف فإذا استعملت مرة أخرى في يد غير معروفة صارت مجازاً لخروجها عن موضع الحقيقة التي وضعت من أجلها.. وهذا غير صحيح بالمرة، إذ يعكر عليه:

١ «أن العرب - على حد ما جاء في مختصر الصواعق ص ٢٩٨، ٣١١ - لم تستعمل هذه الألفاظ مطلقة، بل لا تنطق بها إلا مقيدة كـ (رأس الإنسان) و(رأس الطائر) و(رأس الدابة) و(رأس الماء) و(رأس الأمر) و(رأس المال) و(رأس القوم)، فها هنا المضاف والمضاف إليه جميعاً حقيقة وهما موضوعان، ومن توهم أن الأصل في الرأس للإنسان وأنه نقل منه إلى هذه الأمور، فقد غلط أقبح غلط وقال ما لا علم له به بوجه من الوجوه.. وهذا حكم عام في جميع الألفاظ المضافة كاليد والعين وغيرهما، فـ (يد البعوضة) حقيقة و(يد الفيل) حقيقة، وليست مجازاً في أحد الموضعين حقيقة في الآخر، وليست (اليد) مشتركة بينهما اشتراكاً لفظياً، وكذلك (إرادة البعوض)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد أثارت قضية وقوع المجاز في أي التنزيل بصفة عامة، ووقوعه في صفات الله - تعالى - بصفة خاصة، لغطاً كثيراً طوال الحقب الماضية، حتى ما خلا مكان من دولة الإسلام على مدى العصور والأزمان، من الحديث عنها وإنارتها.. مع سهولة ووضوح وجه الصواب في هذه القضية التي حسبوها شائكة كلما أثرت، وأنه ينحصر في وجوده في القرآن عدا أي الصفات التي يجب إثباتها على النحو اللائق برب العزة دون تعطيل ولا تكيف ولا تشبيه ولا تجسيم، على الحقيقة وكما قضت به أدلة اللغة والعقل والنقل وانعقد عليه إجماع الأمة.. إلا أنها - وإلى يوم الناس هذا - لا تزال تستحوذ على فكر الكثير من البلاغيين، ويشغل بالحديث عنها العديد من الباحثين والمعنيين بتلقي العلوم الشرعية، وما تفتأ كذلك تثار بشكل أو بآخر، ويدور حولها ذات اللفظ ونفس الشغب الذي أحدثته من قبل.

اشكالية أهل الكلام في القول بالمجاز

في نصوص الصفات

وإشكالية المجاز اللغوي - الذي يعني في اصطلاح البلاغيين: «الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي» كـ (الظلمات) و(النور) في قوله تعالى: (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور..) (إبراهيم/ ١)، حيث استعيرت الكلمتان للضلال والهدى - أقول: إن إشكالية المجاز اللغوي لدى المتكلمة، تكمن في: أن الألفاظ من نحو (اليد) التي تعني الجارحة، و(الاستواء) الذي يعني الاقتعاد، وهكذا.. وضعت - في تصورهم - لهذه المعاني

و(المجيء) و(النزول) في حق الله عن الحقيقية إلى المجاز فحسب، بل دلالة القرائن على استعمال هذه الصفات في حقه تعالى على الحقيقة لا على المجاز.

القرائن اللغوية على حمل يده تعالى

على العقبة لا المجاز،

فصفة اليد مثلاً.. يشير إلى إثباتها لله تعالى «أطراد لفظها في موارد الاستعمال وتنوع ذلك وتصريف استعماله الذي يمنع المجاز، ألا ترى إلى قوله تعالى: (خلقت بيدي..) (ص/ ٧٥)، وقوله: (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون..) (الزمر/ ٦٧)، وأيضاً لو كان لفظ اليد مجازاً في القدرة والنعمة، لما استعمل منه لفظ (يمين الرحمن)، و(كلتا يديه يمين) الوارد في حديث مسلم وغيره، إذ يقال في هذا: (يد النعمة والقدرة).. ذلك أن المستعمل في يد (النعمة أو القدرة) الشرط فيه: أن يقترن باللفظ ما يدل على ذلك ليحصل المراد، وأن يكون المضاف من جنس المضاف إليه، لاسيما فيما يتنوع فيه المضاف بتنوع المضاف إليه فيكون بحسبه، وأن يكون مجرداً عن الإضافة وعن التثنية وعن نسبة الفعل - أو ما يعمل عمله - إليه، فيقال: (فلان عندي يد) و(لولا يد له عندي)، ولا يكادون يقولون: (يده أو يدها عندي)، ولا (له عندي يد) ولا (يد فلان كذا) ولا (فعل هذا بيمينه).

وقد ذكرنا من قبل استنكار أبي الحسن الأشعري ذلك بشدة على المتأولة، وقوله في الإبانة ص ٩٩ ما نصه: «وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: (عملت كذا بيدي)، ويعني به النعمة، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: (فعلت بيدي) ويعني: النعمة، بطل أن يكون معنى قوله تعالى: (خلقت بيدي..) (ص: ٧٥) النعمة، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: (لي عليه يدي)، بمعنى: (لي عليه نعمتي).. لأنه إن روجع في تفسير قوله تعالى: «بيدي» بـ «نعمتي» إلى الإجماع، فليس المسلمون على ما ادعى متفقين، وإن روجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: (بيدي)

و(حياتها) و(قوتها) حقيقة، و(إرادة الملك) - من البشر - و(قوته) و(حياته)، حقيقة.. ومعلوم أن القدر المشترك في هذه الألفاظ بين (الأسد) و(الرجل الشجاع)، وبين (البليد) و(الحمار) أعظم من القدر المشترك الذي بين (البعوضة) و(الفيل) وبين (البعوضة) و(الملك)، وإذا كان اللفظ حقيقة في كل ما ذكر باعتبار القدر المشترك، فلأن يكون حقيقة باعتبار القدر المشترك فيما هو أظهر وأبين - يعني فيما بين الخالق والمخلوق - أولى.. ولا سيما إذا كان من المعهود بالفرائض والفطر، والمعروف بالنظر والاستدلال، والمعلوم بالبداية والضرورة، أن (الوجه) و(اليدين) و(السمع) و(البصر) و(الكلام) و(الغضب) و(الرضا) و(الإرادة) وكل ما وصف الخالق به نفسه ووصفه به رسوله لا يماثل ما عليه المخلوق.

ويقال حينئذ للجادلين بالباطل: إن هذه الألفاظ

التي تستعمل في حق الخالق والمخلوق لها ثلاث اعتبارات:

أحدها: أن تكون مقيدة بالخالق كسمع الله وبصره، ووجهه واستوائه، ونزوله وعلمه، وقدرته وحياته.

الثاني: أن تكون مقيدة بالمخلوق كيد الإنسان ووجهه وبيده واستوائه.

الثالث: أن تجرد عن كلتا الإضافتين وتوجد مطلقة.

فإثباتكم هذه الألفاظ والصفات على مسمياتها، إما أن تكون باعتبار الأول أو الثاني أو الثالث ولا رابع لها.. فإن جعلتم جهة كونها حقيقة: تقيدوها بالخالق، لزم أن تكون في المخلوق مجازاً، وهذا مذهب قد صار إليه (أبو العباس الناشئ) الشيعي.. وإن جعلتم جهة كونها حقيقة: تقيدوها بالمخلوق، لزم أن تكون في الخالق مجازاً، وهذا مذهب صار إليه إمام المعطلة (جهم بن صفوان) ودرج أصحابه على أثره.. وإن جعلتم جهة كونها حقيقة: القدر المشترك غير المميز في موضوعها، لزم أن تكون حقيقة في الخالق والمخلوق، وهذا قول عامة العقلاء وهو الصواب.. وإن فرقت بين بعض الألفاظ وبعض وقعتكم في التناقض والتحكم المحض..

٢- كما يعكر عليه: ليس انعدام القرائن الدالة على صرف صفات الخبر من نحو: (اليد) و(العينين) و(القدم)، والفعل من نحو: (الاستواء)

ويعني (نعمتي)، وإن لجأ إلى وجه ثالث سالناه عنه ولن يجد له سبيلاً..

وإنما أتى المنكرون من المتكلمة والمؤولة لنفي صفة اليد له تعالى: من جهة أنهم رأوا اليد تطلق على النعمة والقدرة في بعض المواضع، فظنوا أن كل تركيب وسياق صالح لذلك - حتى وإن قامت القرائن على خلافه - فوهما وأوهما، وإلا فهب أن هذا يصلح في قول بعضهم: (لولا يد لك لم أجرك بها)، أف يصلح في قوله جلت قدرته: (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) (العنكبوت ٤٨)، وفي قول عبد الله بن عمر: (إن الله لم يباشر بيده أو لم يخلق بيده إلا ثلاثاً: خلق آدم بيده، وغرس جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده)؟، أو يصح في عقل أو نقل أو فطرة أو ملة أو شريعة أو منطق أن يكون معنى الآية: (وما كنت تتلو من كتاب ولا تخطه بنعمتك أو بقدرتك)، أو أن يصح أن يقال أن المراد من الأثر: (لم يخلق بقدرته أو بنعمته إلا ثلاثاً)؟ [ينظر مختصر الصواعق ص ٤٠١: ٤٠٥].

ثم إن السانخ لصرف (اليد) عن ظاهرها إلى المجاز - على ما تقتضيه أوضاع العربية وما جرى عليه أربابها الأقحاح - لا يستعمل إلا مفرداً أو مجموعاً، كقولك: (له عندي يد يجزيه الله بها)، (وله عندي أباد)، وأما إذا كان بلفظ التثنية كما في قول الله تعالى: (لما خلقت بيدي..) (ص/ ٧٥)، فلم يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقية؛ إذ ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية، بل بلفظ الأفراد الشامل لجميع الحقيقة، كقوله تعالى: (إن القوة لله جميعاً..) (البقرة/ ١٦٥)، وكقوله: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها..) (إبراهيم: ٣٤، النحل/ ١٨)، وقد يجمع النعم كقوله: (واسبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة..) (لقمان/ ٢٠)، وأما أن يقول: (خلقتك بقدرتين أو بنعمتين)، فهذا لم يقع في كلامه تعالى ولا في كلام رسوله ولا في كلام أحد ممن يعتد بعربيته.

ولما لم يثبت استعمال ذلك بلفظ التثنية، لم يجز أن يكون المراد به هاهنا: القدرة، فيبطل بذلك فائدة تخصيص آدم، فإنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرته سبحانه.. ثم أي مزية لأدم على إبليس في قوله تعالى: (ما منعك أن تسجد

لما خلقت بيدي..) (ص/ ٧٥) إن حمل معنى اليد على القدرة..؟ وأي خصيصية خص الله بها آدم دون سواه، بدت في قول موسى عليه السلام له وقت الحاجة على ما في الصحيحين: (أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء)، وكذا في قول أهل الموقف له إذا سألوه الشفاعة، لو كان الأمر كذلك..؟ فهذه أربع خصائص لأدم عليه السلام تضيع الفائدة منها لو وُضعت القدرة - التي يدعي المؤولة والمعطة أن التعبير باليد هنا مجاز عنها - موضع اليد.

وقضلا عن عدم صحة وضعها هناك، فإنه سبحانه لو قال بحق آدم عليه السلام لما امتنع إبليس أن يسجد له امتثالاً لأمر الله: (ما منعك أن تسجد لما خلقت بقدرتي)، أو قال له موسى: (أنت أبو البشر الذي خلقك الله بقدرتيه)، أو قال له أهل الموقف ذلك، لم يحسن ذلك الكلام ولما كان فيه من الفائدة شيء، وتعالى الله أن ينسب إليه مثل ذلك، فمثل هذا التخصيص - على ما تمليه دقة اللغة ولطافتها - إنما خرج مخرج الفضل له عليه السلام على غيره، كما أن ذلك أمر اختصاص به أدم ولم يشاركه فيه غيره، فلا يجوز حمل الكلام على ما يبطله. [ينظر السابق ٤٠٣، ٤٠٤].

يضاف إلى ما سبق ذكره: أن نفس التركيب المذكور في قوله: (خلقت بيدي..) (ص/ ٧٥)، يأبى حمل اليد على القدرة: لأنه سبحانه نسب الخلق إلى نفسه، ثم عدى الفعل إلى اليد، ثم ثناها ثم أدخل عليها الباء التي تدخل على نحو قولك: (كتبت بالقلم)، ومثل هذا نص صريح لا يحتمل المجاز بوجه، بخلاف ما لو قال: (عملت).. ولهذا لم يكن خلق الأنعام في قوله تعالى: (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً..) (يس/ ٧١) مساوياً لخلق أبي الأنعام؛ حيث أضاف الفعل في هذه الآية إلى الأيدي وجمعها ولم يدخل عليها الباء، فهذه ثلاثة فروق تبطل إلحاق أحد الموضوعين بالآخر، وتتضمن عدم التسوية بينهما في مزية الخلق.. ومن المعلوم بدهة أن تسوية المعطل بينهما - قصد ذلك أو لم يقصده - من أبطل الباطل وأعظم العقوق للآب؛ إذ ساوى بين أبيه الأول وبين إبليس والأنعام في الخلق باليدين.

أيديهم..) (المائدة/ ٦٤)، هو دعاء عليهم بغل اليد المتضمن للجن والبخل، وذلك لا ينفي ثبوت أيديهم حقيقة، وكذلك قوله في المنافقين: (ويقبضون أيديهم..) (التوبة/ ٦٧) كناية عن البخل ولا ينفي أن يكون لهم أيد حقيقة، وكذلك قوله: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط..) (الإسراء/ ٢٩)، المراد به النهي عن البخل والتقتير والإسراف، وذلك مستلزم لحقيقة اليد، وكذلك قوله تعالى: (أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح..) (البقرة/ ٢٣٧)، أي يتولى عقدها، وهو إنما يعقدها بلسانه ولكن لا يقال ذلك إلا لمن له يد حقيقة، وكذلك قوله: (ولما سقط في أيديهم..) (الأعراف/ ١٤٩) هو كناية عن الندم وتيقن التفريط والإضاعة، بمنزلة من سقط منه الشيء فحبل بينه وبينه، وأتى في هذا بلفظ (في) دون (من) لأن الندم سقط في أيديهم وثبت فيها واستقر، ولو قيل: (سقط من أيديهم)، لم يدل على هذا المعنى.. وإنما تعين لفظ اليد على الحقيقة لهذا المعنى دون المجاز لوجهين:

أحدهما: أنه يقال لمن حصل له شيء وإن لم يقع في نفس يده: (حصل في يده كذا وكذا من الخير والشر)، كما يقال: (كسبت يده وفعلت يده)، وإن كان لغيرها من الجوارح.

ثانيها: إن الندم حدث يحصل في القلب وأثره يظهر في اليد؛ لأن النادم يعرض يديه تارة، ويضرب إحداها على الأخرى تارة، قال تعالى: (فأصبح قلبك كفيه على ما أنفق فيها..) (الكهف/ ٤٢)، وقال: (ويوم يعرض الظالم على يديه..) (الفرقان/ ٢٧)، فلما كان أكثر الندم يظهر على اليد أضيف سقوط الندم إليها؛ لأن الذي يظهر للعيان هو تقليب الكف وعض الأنامل، وأتى بهذا الفعل (سقط) مبنياً للمجهول إيهاماً لشأن الفعل كقولهم: (ذهي فلان وأصيب بأمر عظيم).

والمقصود أن ذلك لا يقال إلا لمن له يد حقيقة، فإذا قيل: (سقط في يديه) عُرف السائل أن ذلك الكلام مستلزم لحقيقة اليد، خلافاً لما تستعمل اليد فيه للنعمة والقدرة، وإنما بوضح هذا من ذاك دلالات السياق وقرائن الأحوال.. وإلى لقاء آخر إن شاء الله نستكمل فيه ما بدانا.

ثم إن يد النعمة والقدرة لا يتجاوز بها لفظ (اليد) ولا يتصرف فيها بما يتصرف في اليد الحقيقية، فلا يقال مثلاً فيها (كف)، لا للنعمة ولا للقدرة، ولا (أصبع) و(أصبعان) ولا (يمين) - وهي الفاظ جاءت في بعض صفاته تعالى ونطقت بها السنة - فهذا كله ينفي أن يكون اليد في حق الله تعالى: يد نعمة أو يد قدرة.. إذ لا يعرف في الاستعمال أن يقال في (يد القدرة): (يد فلان كذا)، فضلاً عن أن يقال: (فعل هذا بيمينه)، فضلاً عن أن يقال: (فعله بيديه)، وإنما المستعمل في يد القدرة والنعمة أن تكون مجردة عن الإضافة وعن التثنية وعن نسبة الفعل إليها كما سبق تقريره.

ذلك أن اليد حيث أريد بها النعمة أو القدرة، لا بد أن يقتصر باللفظ ما يدل على ذلك ليحصل المراد، فإما أن تطلق ويراد بها ذلك، فهذا لا يجوز في لغة العرب.. كما إذا أطلق (البحر) و(الأسد) وادعى بذلك أنه أريد به: (الرجل الجواد والشجاع)، فهذا لا يجزئه عاقل ولا يتكلم به إلا من كان قصده التلبس والتعمية، وحيث أراد تلك المعاني فإنه يأتي من القرائن بما يدل على مراده.. فإين ذلك من قوله تعالى: (لما خلقت بيدي..) (ص/ ٧٥)، وقوله: (بل يدها مبسوطتان..) (المائدة/ ٦٤)، وقوله صلى الله عليه وسلم كما في البخاري ومسلم: (فأقوم عن يمين ربي)، إلى غير ذلك مما لا يراد به إلا الحقيقة، بل وأين فيه ما يدل على خلافه من إرادة المجاز؟ ينظر السابق.]

وإنما يكمن سر استعمال (اليد) في حق من له يد حقيقة تليق بكماله سبحانه، وتبدو نكتة إضافتها إليه - على ما هو مطرد في لغة العرب - في أن الأعمال والأخذ والعطاء والتصرف لما كان باليد وهي التي تباشره، عبروا بها عن الغاية الحاصلة بها.. وهذا يستلزم ثبوت أصل اليد حتى يصح استعمالها في مجرد القوة والنعمة والإعطاء، فإذا انتفت حقيقة اليد امتنع استعمالها فيها فيما يكون باليد، فثبوت هذا الاستعمال المجازي من أدل الأشياء على ثبوت الحقيقة.

وعلى نحو ما يكون التعبير عن اليد بطريق الحقيقة والمجاز المرسل يكون التعبير عنها بطريق الكناية؛ وعليه فقوله تعالى في حق اليهود: (غلّت

يتطلعان للإحسان، ويؤمنان بالبر والشكران،
ولكن خاب ظنهما، وكاني بهما وقد تمنيا أن
لو كانا عقيمين، تثنى لهما الفضيلة، وتبكي من
اجلهما المروءة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث، الذي يقرّ الخبث في أهله». [صحيح الترغيب: ٥١٢].

وعقوق الوالدين يمنع العاق من نظر الله إليه
يوم القيامة: قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة
لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه،
وممن الخمر، والمنان عطاءه». [صحيح الترغيب:
٢٥١].

عقمة
قال صلى الله عليه وسلم: «الا انبئكم باكبر
الكبائر؟ الإشراف بالله، وعقوق الوالدين» وكان
متكئا فجلس فقال: «الا وقول الزور وشهادة
الزور». [البخاري: ٢٦٥٤، ومسلم: ٨٧].

عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه
قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال: يا رسول الله، شهدت أن لا إله إلا الله،
وأنت رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة
مالي، وصمت رمضان، فقال النبي صلى الله
عليه وسلم: «من مات على هذا كان مع النبيين
والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا» ونصب
أصبعه - ما لم يعق والديه. [صحيح الترغيب
رقم: ٢٥١٥].

فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا لَمْ يَغِقْ وَالِدِي»، يُفِيدُ أَنَّ الصَّلَاةَ الْخُمْسَ، وَصِيَامَ الشَّهْرِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةَ لَا يَنْفَعُ ذَلِكَ صَاحِبَهُ إِذَا كَانَ عَاقًا لَوَالِدَيْهِ، يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، عَاقٍ، وَمَنَانٍ، وَمَكْذِبٍ بِقَدَرٍ». [صَحِيحُ التَّرغِيبِ: ٢٥١٣].

قال صلى الله عليه وسلم: «ما من ذنب أجدر أن

عنه سال عنك، وانتظر مجيئك، وإذا رآك ابتسم
مُحياء وبرقت ثنانياً.

وتذكر عنايته بك في تعليمك، وتوجيهك إلى ما فيه صلاح دينك ودينك، وتذكر فرحه واستبشاره بمحبته ونجاحك، وتذكر دفاعه عنك بيده ولسانه، وتذكر دعاءه لك في مظنة أوقات الإجابة أن يُصلحك الله ويوفقك، هذان هما والداك، وتلك هي طفولتك وصداك.

والدائماً لا بسببك التعب والمشقة، غرست محبتك في قلوبهما لا يتركان شيئاً في وسعهما إلا بذلاه لإسعاده، أنت قرّة عينيها وزينة دنياهما، وأنت أنس حياتهما وأمل مستقبلهما، يرخسان المال إذا مرضت، ويجزلان العطاء إذا طلبت، من رحيقهما أخذت، وفي حُجورهما وأحضانها نشأت.

هذان هما الأبوان اللذان جاءت الوصية بهما:

بسم الله الرحمن الرحيم
(الإحْقَاف: ١٥).

[لقمان: ١٤].

وفي مشكاة النبوة يأتي برُّ الوالدين قريباً
للصلاة عمود الإسلام ومتقدماً على الجهاد ذروة
سنام الأمر.

عن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». [صحيح البخاري: ٥٢٧، وصحيح مسلم: ٨٥].

فانظروا- يراعكم الله- كيف فاق برُّ الوالدين
الجهاد في سبيل الله!!

ويشهد لذلك أيضا- أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد، فقال: «حيّ والذاك؟» قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد». البخاري: ٣٠٠٤، ومسلم: ٢٥٤٩.]

الجمهورية العربية السورية

ورغم هذه الوصايا الالهية والتوجيهات النبوية إنك لتأسف أشد الأسف من صور تراها، أو حقائق تسمعها، من تساهل كثير من الأبناء في بر والديهم، فلا تقدير ولا احترام، ولا سمع ولا طاعة، بل غلظة وفضاظة، ونهر وعقوق، وقد كانا

يُعَجِّلُ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا،
مَعَ مَا يَدْخِرُهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبُغْيِ، وَقَطِيعَةِ
الرَّحِمِ. [صحيح الجامع رقم: ٥٧٠٤].

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا رَأَى الْوَالِدُ أَنَّ ابْنَهُ لَا يَتَّقِي اللَّهَ،

عَنْ أَبِي مَرْثَدَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَرَّةٍ: «إِنَّهُ
رَكِبَ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَى أَرْضِهِ بِالْعَقِيقِ»، فَإِذَا
دَخَلَ أَرْضَهُ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: عَلَيْكَ السَّلَامُ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ يَا أُمَّتَاهُ، تَقُولُ: وَعَلَيْكَ
السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ
كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا، فَتَقُولُ: يَا بَنِي، وَأَنْتَ،
فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا وَرَضِي عَنْكَ كَمَا بَرَّيْتَنِي
كَبِيرًا. [صحيح الأدب المفرد للبخاري: ص ٣٧].
وَعَنْ أَبِي بُرَيْدَةَ أَنَّهُ شَهِدَ ابْنَ عَمْرِو بْنِ
يُطُوفَ بِالْبَيْتِ، حَمَلَ أُمَّهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ يَقُولُ:

أَتَى نَسْلَهُ لَعْنَهُمَا الْمَسِيرُ

أَتَى الْعَرَبَ رَكَابَهُمَا الْمَسِيرُ

ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ عَمْرِو، أَتَرَانِي جَزَيْتَهُمَا؟ قَالَ: لَا،
وَلَا بَزَفَرَةٍ وَاحِدَةٍ. [صحيح الأدب المفرد ص ٣٦]،
وَمَعْنَى: «رَكَابَهُمَا» أَيُّ: بِعَيْرِهِمَا. وَمَعْنَى: «وَلَا
بَزَفَرَةٍ وَاحِدَةٍ» الْمَرَّةُ مِنَ الزَّفِيرِ وَهُوَ تَرْدِيدُ النَّفْسِ
حَتَّى تَخْتَلِفَ الْأَضْلَاعُ، وَهَذَا يُعْرَضُ لِلْمَرَأَةِ عِنْدَ
الْوَضْعِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنِّي لَا أَعْلَمُ
عَمَلًا أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَةِ. [الأدب
المفرد].

وَسُئِلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَا بَرُّ الْوَالِدَيْنِ؟ قَالَ: أَنْ
تَبْذُلَ لِهَمَا مَا مَلَكَتْ، وَأَنْ تَطْلُبَهُمَا فِيمَا أَمَرَكَ
بِهِ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعْصِيَةً. [الدر المنثور للسيوطي
٢٥٩/٥].

إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ حَقَّ الْوَالِدَيْنِ عَظِيمٌ،
وَأَنَّ الْأَبْنََاءَ عَاجِزُونَ عَنِ الْقِيَامِ بِهَذَا الْحَقِّ
مَهْمَا قَدَّمُوا، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا
فِي شَتْرِيهِ فَيُعْتِقَهُ». [مسلم: ١٥١٠].

فَأَنْتَ أَيُّهَا الْإِبْنُ مَهْمَا فَعَلْتَ فِي بَرِّ الْوَالِدَيْنِ
وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا فَلَنْ تَقُومَ بِوَاجِبِهِمَا أَوْ تَوْفِ
حَقَّهُمَا، وَلَكِنْ الْجَاءَ إِلَى اللَّهِ بِالْإِعْدَاءِ لِهَمَا فِي حَالِ
الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ، فَهَذَا خُلُقُ الْأَنْبِيَاءِ، وَدَابُّ
الصَّالِحِينَ. (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْعَالَمِينَ) [إبراهيم: ٤١].

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَيُظَفَّرُ الْبَارُّ بِوَالِدَيْهِ بِرِضَا الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا
الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ». [صحيح
الترغيب: ٢٤٨٨].
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا
الدَّعَاءَ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعَمْرِ إِلَّا الْبِرَّ». [صحيح
الترغيب: ٢٤٨٩].

وَيُظَفَّرُ الْبَارُّ بِوَالِدَيْهِ بِرِضَا الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، قَالَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا
الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ». [صحيح
الجامع: ٣٥٠٦].

لَيْسَ بِوَالِدَيْهِ مَجِيبٌ لِدَعَائِهِ

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أَوْيسُ
بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مَرَادٍ، ثُمَّ مِنْ
قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ،
لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَارٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِابْنِهِ».

[مسلم: ٢٥٤٢].

وَبَرُّ الْوَالِدَيْنِ: مَنَهِجُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَعَمَلُ
الْكَرَامِ وَالصَّالِحِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ
عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَرَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
مُتَوَلِّيًا عَلَى الصَّلَاحِ، وَكَانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى
بِرِّهِمْ) [مريم: ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ يَحْيَى
بْنِ زَكَرِيَّا- عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: (وَرَأَى زَكَرِيَّا
مُتَوَلِّيًا عَلَى الصَّلَاحِ، وَكَانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى
بِرِّهِمْ) [مريم: ١٤].

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَرَأَى
سُلَيْمَانَ مُتَوَلِّيًا عَلَى الصَّلَاحِ، وَكَانَ يَدْعُو النَّاسَ
إِلَى بِرِّهِمْ) [النمل: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ الْمُؤْمِنِ: (وَرَأَى
مُؤْمِنًا مُتَوَلِّيًا عَلَى الصَّلَاحِ، وَكَانَ يَدْعُو النَّاسَ
إِلَى بِرِّهِمْ) [النمل: ١٩].

وَدَعَاءُ نَبِيِّهِ دَابُّ الْمُرْسَلِينَ مِنْ أَوَّلَى الْعَزْمِ:
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ نُوحٍ- عَلَيْهِ السَّلَامُ:-
(رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْعَالَمِينَ) [نوح: ٢٨].
وَقَالَ تَعَالَى عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ: (وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ
مُتَوَلِّيًا عَلَى الصَّلَاحِ، وَكَانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى
بِرِّهِمْ) [النمل: ١٩].

عوامل الصبر والثبات

العامل السادس: الإيمان باليوم الآخر

تأليف: د. محمد بن عبد الله بن محمد

المستشار/ أحمد السيد علي

إعداد:

أولاً: معنى الإيمان باليوم الآخر:

قال المباركفوري في الرحيق المختوم: (وهو مما كان يقوي هذا الشعور - الشعور بالمسئولية - فقد كانوا على يقين جازم بأنهم يقومون لرب العالمين، ويحاسبون على أعمالهم دقها وجلها، صغيرها وكبيرها، فإما إلى النعيم المقيم، وإما إلى عذاب خالد في سواء الجحيم، فكانوا يقضون حياتهم بين الخوف والرجاء، يرجون رحمة ربهم ويخافون عذابه، وكانوا كالذين (يُؤْمِنُونَ مَا آتَاهَا وَقُلُوبُهُمْ رِجْلٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) (المؤمنون: ٦٠)، وكانوا يعرفون أن الدنيا بعذابها ونعيمها لا تساوي جناح بعوضة في جنب الآخرة، وكانت هذه المعرفة القوية تهون لهم متاعب الدنيا ومشاقها ومرارتها؛ حتى لم يكونوا يكثرثون لها ويلقون إليها بالاً اهـ.

والإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بالبعث، وبالحساب والجزاء، وبالجنة والنار.. وغير ذلك مما ثبت في وصف يوم القيامة والدار الآخرة في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

١- الإيمان بالبعث:

فالمسلم يؤمن بأن الله هو الباعث، وسيبعث الناس ليوم لا ريب فيه، قال تعالى: (الحج: ٧)، وقال: (٧)

(المؤمنون: ١٦)، وقال: (الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بل وري لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير) (التغابن: ٧).

٢- الإيمان بالحساب والجزاء:

ويؤمن كذلك بأن الله سبحانه وتعالى سيحاسب الناس على ما فعلوه في دنياهم، قال تعالى: (ليخزي الله كل فاسق مما كسبت إن الله سريع الحساب) (إبراهيم: ٥١)، وقال سبحانه: (أقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) (الأنبياء: ١)، وقال جل وعلا: (اليوم نبرئ الحساب) (غافر: ١٧)، وقال سبحانه: (إن إلينا إيمانهم) (التغابن: ٢٥).

(اليوم نبرئ الحساب) (غافر: ١٧)، وقال سبحانه: (إن إلينا إيمانهم) (التغابن: ٢٥).

سلطانه، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الذي اصطفاه على جميع انامه، وعلى زوجاته الطاهرات، وعلى أصحابه الغر الميامين المتبعين لهديه في كل احكامه.

وبعد، فما يزال الحديث موصولاً عن عوامل الصبر والثبات، ونعيش بمسئلة الله تعالى مع العامل السادس الا وهو: الإيمان باليوم الآخر، فنقول وبالله التوفيق.

٣- الإيمان بالجنة والنار:

ويؤمن بأن الله خلق الجنة والنار، وأنهما موجودتان وواقيتان لا تفتنيان، وأن الله أعد الجنة لعباده المؤمنين خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض، وأعد النار للكافرين خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض، ولعصاة المؤمنين بغير خلود، قال تعالى: (مَأْمَأُ الَّذِينَ شَقُوا فِىَ النَّارِ هُمْ هِىَ رَقِىْرٌ وَشَهِيْقٌ لِّىَ جَحِيْمٍ هِىَآ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَٱلْأَرْضُ أِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ يَوْمَئِذٍ يَعْلَمُ لِمَ يَرِيْدُ ۚ أَتَرَكُنَّ بَنِيَّ يَهْدُوْنَ فِىَ خَلْقِ جَحِيْمٍ هِىَآ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَٱلْأَرْضُ أِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَآءٌ غَيْرُ مُجْدُوْمٍ) (هود: ١٠٦-١٠٨).

نانيا: بعض أنواع الصبر المترتبة على هذا العامل:

النوع الأول: الصبر على المصائب:

إن المؤمن إذا آمن باليوم الآخر بآركانه الثلاثة فلايد أن يصبر على المصائب التي تقع له، وليس أدل على ذلك مما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لما ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَٱكْرَبْ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: (ليس على أهلك كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ). فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، مِّنْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ مَاوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جَبْرِئِلَ تَبْعَاهُ. فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْتُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التُّرَابَ؟) (رواه البخاري).

فهذه فاطمة رضي الله عنها تصبر على فقدتها لأبيها وتسلم لقضاء الله وقدره، لإيمانها بمال أبيها صلى الله عليه وسلم، وأن الدار الآخرة خير له من الحياة الدنيا، وانظر أخي الحبيب إلى فعلها وقارن بينه وبين من لم يخالط الإيمان باليوم الآخر قلبه، فلم يصبر على ما أصابه من موت الأحبة وفراقهم.

النوع الثاني: الصبر على الابتلاءات:

والابتلاءات متعددة، والمؤمن إذا آمن باليوم الآخر فلا يسعه إلا الصبر عليها، وقد حدث النبي صلى الله عليه وسلم على الإحسان

للجار والصبر على أذيته، وعدم معاملته بالمثل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: (من كَانَ يَوْمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارَهُ) (رواه البخاري).

وفي رواية عن أبي شريح العدوي الخزاعي قال: (من كَانَ يَوْمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَحْسِنِ إِلَى جَارِهِ) (رواه مسلم).

وقد بين ذلك الحسن البصري فقال: (ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى من الجار). وقد صبر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الابتلاء العظيم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشكو جَارَهُ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَاصْبِرْ، فَاتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَقَالَ: اذْهَبْ فَاطْرُخْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ. فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبْرَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ: فَعَلَ اللَّهُ بِهِ، وَفَعَلَ، وَفَعَلَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ: أَرْجِعْ لَا تَرَى مَنِي شَيْئًا تَكْرَهُهُ) (رواه أبو داود، وقال الألباني: حسن صحيح).

فالرجل الأول صبر على أذى جاره، والجار المؤذي توقف عن الإيذاء؛ خوفا من أن تصيبه اللعنة فيصير مطرودا من رحمة الله في الآخرة.

وتبع الصحابة في ذلك فضلاء هذه الأمة، فقد حكى الغزالي في الإحياء (أن مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - كان له جار يهودي، فحول اليهودي مستحمته إلى جدار البيت الذي فيه مالك، وكان الجدار متهدما، فكانت تدخل منه النجاسة، ومالك ينظف البيت كل يوم ولم يقل شيئا، وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الأذى، فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة، فقال له: يا مالك، أذيتك كثيرا وأنت صابر، ولم تخبرني، فقال مالك: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «ما زال جبريل يوصيني بالجار؛ حتى ظننت أنه سيورثه»، فنديم اليهودي وأسلم). اهـ.

يَوْمَ أُحُدٍ، فَهَزَمَ النَّاسَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعِ
تَذَرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعْتُ هَؤُلَاءِ؟ يَعْنِي: الْمُسْلِمِينَ،
وَأَبْرَأَ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَتَقَدَّمَ
بِسَيْفِهِ فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ، فَقَالَ: أَيْنَ يَا
سَعْدُ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ، فَمَضَى
فَقُتِلَ، فَمَا عَرَفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أَخْتُهُ بِشَامَةَ، أَوْ
بَنَاتَانِ، وَبِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ طَعْنَةً وَضَرْبَةً
سَيْفٍ وَرُمِيَّةً بِسَهْمٍ (رواه البخاري).

فهذا أنس بن النضر صبر على تلك الفريضة
العظيمة لإيمانه باليوم الآخر، بل لقد وجد
ريح الجنة دون أحد، والبعض من المسلمين
الآن لا يصبر على هذه الطاعة العظيمة، بل
ويعادي من يقوم بها في مواجهة أعداء
الدين من الذين احتلوا ديار المسلمين !!

النوع الرابع: الصبر عن المعاصي:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (إِنَّ رَجُلًا
قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي مَمْلُوكَيْنِ
يُكْذِبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي، وَآ
شْتَمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ:
يَحْسِبُ مَا خَانُوكَ وَعَصُوكَ وَكَذَّبُوكَ وَعَقَابُكَ
إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ
كَانَ كَقَافَا، لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ
إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ
عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ اقْتَصَرَ لَهُمْ مِنْكَ
الْفَضْلُ. قَالَ: فَتَنْخِي الرَّجُلَ فِجْعَلٍ يَبْكِي
وَيَهْتَفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ (وَنَضَعَ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا)
الآيَةَ. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا
أَجْدَلِي وَلَهُمْ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مَفَارِقَتِهِمْ،
أَشْهَدُكَ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ (رواه الترمذي
وصححه الألباني).

فهذا الرجل حينما ذكره النبي صلى الله
عليه وسلم باليوم الآخر وبعظم الحساب،
بكت عينه وصبر عن معصية الظلم لمملوكيه،
واعتقهم لوجه الله تعالى، والبعض منا
الآن لا يتزعج يده من ظلم الآخرين، وما ذاك
إلا لضعف إيمانه باليوم الآخر.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ونذكر ابن تيمية في كتاب الاستقامة (أن
سهل بن عبدالله التستري - رحمه الله
- كان له جار مجوسي، وكان في نفس
البيت في الطابق الأعلى، فانفتحت فتحة
في كنيف المجوسي، فكان يقع منها الأذى
في دار سهل، فكان يضع كل يوم الجفنة
تحت الفتحة، فينزل فيها الأذى، ثم يأخذ
ذلك بالليل ثم يطرحه بعيداً، فمكث - رحمه
الله - على هذا الحال زمناً طويلاً إلى أن
أتى سهلاً المرض، فاستدعى سهلاً جاره
المجوسي، وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر
ما فيه فرأى الفتحة والقذر، فقال: ما هذا؟
قال سهل: هذا منذ زمن طويل يسقط من
دارك، وأنا ألقاه بالنهار والقيه بالليل،
ولولا أنه حضرني أجلي ما أخبرتك، وأنا
أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك، فافعل
ما ترى، فقال المجوسي: أيها الشيخ، أنت
تعاملني بهذه المعاملة منذ زمن طويل، وأنا
مقيم على كفر، أيها الشيخ، مد يدك، فإنا
أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول
الله، ثم مات سهل - رحمه الله عليه). اهـ.

وقارن أيها القارئ الكريم بين صبر هؤلاء
على هذه الابتلاءات وبين ما يحدث في هذا
الزمن فنجد من يؤذي جاره، فينزل عليه
القذى والقذر من حمامه، ولا يستجيب
لرجاء جاره، بل ويستمتع بتعذيبه، فلا
يجد المسكين مفراً من بيع سكنه والبحث
عن سكن آخر!!

يلومونني إذ بغت بالرخص منزلاً

ولم يعرفوا جازاً هناك ينغص
فقلت لهم: كفوا الملام فإنها

يجيرانها تغلو الديار وترخص

النوع الثالث: الصبر على الطاعات:

وقد كان الإيمان باليوم الآخر عاملاً من
عوامل الصبر على الطاعات، ومن أجلها
الجهاد في سبيل الله، فعن أنس بن مالك
رضي الله عنه قال: (أَنَّ عُمَةَ غَابَ عَنْ بَدْرٍ،
فَقَالَ: غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِنَزْلِ أَشْهَدَنِي اللَّهَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَرِينِ اللَّهِ مَا أَجِدُ، فَلَقِيَ

د. حمدي طه

أهل العلم والتي يجب مراعاتها عند التعامل مع النصوص بوجه عام ومع النصوص الواردة فيما نحن فيه بوجه خاص:

١- يجب جمع النصوص من القرآن الكريم والسنة الشريفة الواردة في المسألة محل البحث من مصادرهما المعتبرة. وعدم الإقتصار على قسم من النصوص يراه الفقيه غالباً دليلاً كافياً على رأيه، وداعماً لاجتهاده، وترك ما سواه، وقد وجد ذلك بكثرة في بعض كتب المذاهب التي غالباً ما يقتصر أصحابها على الأدلة التي تنصر مذهبهم، وقد تكون في بعض الأحيان أدلة ضعيفة لا تصلح للاحتجاج أصلاً، فضلاً عن معارضة الأدلة الصحيحة. (الجامع لأحكام الصيام لمحمود عبد اللطيف عويضة ٢/١).

٢- التثبت في صحة النليل وثبوته، فالواجب الحذر من الأحاديث التي لا تقوم بها الحجة، فيجب معرفة الثابت منها عن النبي صلى الله عليه وسلم وغير الثابت، والاستدلال بالأحاديث الصحيحة وبالحسنة فقط ولا بد من معرفة روايات الحديث والفاظه؛ فإن بعضها يفسر بعضاً، وترك ما سواه من أحاديث ضعيفة على اختلاف أنواعها؛ حتى لا تعارض الأحاديث الصحيحة بالضعيفة. (معالم أصول الفقه للجيزاني ٢٦٢/١).

٣- لا يلجأ إلى الفرع إلا عند عدم إمكان الجمع بين هذه النصوص، وإعمال جميع النصوص المتعلقة بكل مسألة من المسائل، وعدم إهمال أي منها، فإعمال الكلام أولى من إهماله؛ قاعدة فقهية مشهورة.

الأصل في العبادات الحظر والمنع، حتى يقوم دليل على ثبوتها، وانها من شرع الله - عز وجل -، ودليل ذلك: أن الله أنكر على من شرعوا في دين الله ما لم يأذن به؛ فقال - تعالى -: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مَا تَشَاءُونَ) (الشورى: ٢١).. وثبت من

تكلّمنا في العدد السابق على قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في النوافل لنستخلص مما ذكرناه الهدي العام لقراءته صلى الله عليه وسلم في الصلاة، ويكمل في هذا العدد بيان الأحكام العامة المستفادة من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في

سنذكر عرضاً إجمالياً لأهم المسائل المتعلقة بالقراءة، ونبيّن الراجح فيها ودليل كل مسألة. قال المالكية والحنابلة: يندب إكمال سورة بعد الفاتحة، فلا يقتصر على بعضها، ولا على آية أو أكثر، ولو من الطوال، ويكره تكرير السورة عند الجمهور في الركعتين، بل المطلوب أن يكون في الثانية سورة غير التي قرأها في الأولى، تالية لها في الترتيب، فلا يقرأ في الثانية (سورة القدر) بعد قراءته في الأولى (سورة البينة). وقال الحنفية: لا بأس أن يقرأ سورة ويعيدها في الثانية.

ويندب عند الجمهور تقصير قراءة الركعة الثانية عن قراءة الركعة الأولى في الفرض، وقال أبو حنيفة وأبو يوسف: يندب تطويل الركعة الأولى في الفجر فقط والفتوى على قول محمد كالجمهور بتطويل الركعة الأولى في كل الصلوات على الثانية؛ اتباعاً للسنة، رواه الشيخان في الظهر والعصر، ورواه مسلم في الصبح، ويقاس غير ذلك عليه.

ويندب باتفاق الفقهاء أن يكون ترتيب السور في الركعتين على نظم المصحف، فتتكيس السور مكروه. ولا تكره قراءة أواخر السور وأواسطها؛ وجاز الجمع بين السورتين فأكثر في صلاة النافلة؛ أما الفريضة: فالمستحب أن يقتصر على سورة مع الفاتحة من غير زيادة عليها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم هكذا كان يصلي أكثر صلاته. (الفقه الإسلامي وأدلته د. وهبة الزحيلي ٧٣/٢).

فائدة تصليّة:

قبل أن نبدا في بيان الأحكام المستفادة من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ينبغي أن نذكر بعض الضوابط والقواعد التي قررها

حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ بِدْعٌ » (صحيح مسلم ١٧١٨)، وإذا كان مَرْدُودًا كَانَ بَاطِلًا وَعَيْبًا، يُنْزَعُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يَقْرُبَ بِهِ إِلَيْهِ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (١٦/٢٩): «تصرفات العباد من الأقوال والأفعال أنواع: عبادات يصلح بها دينهم، وعادات يحتاجون إليها في دنياهم، فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشروع، وأما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه، والأصل فيه عدم الحظر، فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى؛ وذلك لأن الأمر والنهي هما شرع الله، والعبادة لا بد أن تكون مأمورًا بها، فما لم يثبت أنه مأمور به كيف يحكم بأنه عبادة؟ وما لم يثبت من العادات أنه منهي عنه كيف يحكم على أنه محظور؟ ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء أهل الحديث يقولون: إن الأصل في العبادات التوقيف. اهـ.

قلت: ولهذه القاعدة تفصيلات كثيرة مهمة ليس موضع بسطها الآن، ولعلنا نعرض لهذه التفصيلات فيما بعد.

٥ - الأصل تساوي الفرض والنفل في جميع الأحكام إلا بدليل، فكل ما ثبت في النفل ثبت في الفرض، وكل ما انتفى في النفل انتفى في الفرض إلا بدليل. ويدل لهذا الأصل: أن الصحابة رضي الله عنهم لما حَكَّوا أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم كان يُوتَرُ على راحلته قالوا: غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة. فلما حَكَّوا أنه يوتر، ثم قالوا: غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة، دل ذلك على أن المعلوم أن ما ثبت في النفل ثبت في الفرض؛ ولأنهما عبادتان من جنس واحد، والأصل اتفاقهما في الأحكام. (الشرح الممتع محمد بن صالح العثيمين ٢٥٧/٢).

٦ - إن الأصل في الأقوال والأفعال العموم؛ إلا إذا دل الدليل على التخصيص، فأمَرَ الشارع للواحد أمرٌ لجميع أفراد الأمة؛ إذا خاطب الشارع الحكيم فردًا من الأمة أو حكم عليه بحكم يكون هذا الحكم عامًا في الأمة إلا إذا قام دليل التخصيص أو يكون خاصًا بذلك المخاطب. (تمام المنة في التعليق على فقه السنة للآلباني ٤١/١).

هذه أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها في المسائل محل البحث، ولنشرع في بيان هذه المسائل:

١ - هل ينبغي قراءة سورة كاملة بعد الفاتحة في الصلاة أم يقرأ ببعض سورة؟

بتتبع الأحاديث الواردة نجد أن أغلب حال النبي صَلَّى الله عليه وسلم قرأ سورة كاملة، فنبغي للإنسان أن يقرأ سورة كاملة، لا بعض السورة، ولا آيات من أثناء السورة؛ فيبدأ القراءة من أول السورة وينتهي قراءته بنهاية السورة، وأطلقه ابن القيم في «زاد المعاد»؛ حيث قال: «وأما قراءة أواخر السور وأواسطها فلم يُحفظ عن النبي صَلَّى الله عليه وسلم». ولكن يجاب عن ذلك بأنه ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما (قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا أَرَى) الآية التي في البقرة، وفي الآخرة (كَأَنَّ اللَّهَ وَآلَهُ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ)) وفي رواية: (كان يقرأ في ركعتي الفجر (قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا أَرَى) والتي في آل عمران (مَّا لَنَا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ بَيِّنَاتٍ لِّعَيْنَيْهِمَا)) رواهما أحمد ومسلم (الشرح الممتع لمحمد بن صالح العثيمين ٧٣/٢).

فقد دل هذان الحديثان على أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ آية واحدة فحسب في الركعة الواحدة.

٢ - هل يصح أن يصلى بالآية الواحدة أكثر من ركعة أو يكرر الآية في الركعة الواحدة؟

ويصح أن يصلى بالآية الواحدة أكثر من ركعة، ويدل لذلك أنه (قام - صلى الله عليه وسلم - ليلة بآية يريدها حتى أصبح وهي: (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَدَّقَ وَإِنْ تُبَيِّنَا لَكُمْ فَأَنْتَ الْغَافِرُ الْكَرِيمُ) (المائدة: ١١٨)، بها يركع وبها يسجد وبها يدعو، فلما أصبح قال له أبو ذر رضي الله عنه: يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها، وتدعو بها، وقد علمك الله القرآن كله، لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه. قال: (إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فاعطانيها، وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئاً) (رواه النسائي وابن خزيمة).

فالأمَر إذن موسع، يبدأ بقراءة آية واحدة وينتهي بمقدار ما يطبق المسلم قراءته من القرآن، وقد ذكرنا أن الأصل: أن ما ثبت في النفل ثبت في الفرض؛ إلا بدليل، وعلى ذلك يكون المستحب قراءة السورة كاملة، ولا بأس في الاقتصاد على بعض السورة؛ لثبوته عن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم، وإن ما ذهب إليه بعض الأئمة (من أن قراءة بعض السورة خلاف السنة) غير صحيح.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

ويكفي أن تعلم أن العين الموسومة على الدولار فوق قمة الهرم هي إحدى رموز الماسونية اليهودية، والتي ترمز للرجال، وعندما نتحدث عن أثر التوراة في السياسة الأمريكية والأوروبية والإسرائيلية فنحن لا نغفل جانب الانتهازية والعقلية الاستعمارية التي تحكم تصرفات الغرب وأمريكا، وكذلك نعلم أن اليهود أشبه الناس بالشيطان على الأرض، وقد لعنهم الله على لسان داود وعيسى ابن مريم، ولعنهم في القرآن الكريم، وهم لا يتورعون عن فعل أي شيء لتحقيق مصالحهم المادية، ومنها استخدام التوراة المحرفة وهم يعلنون ذلك صراحة دون مواربة؛ فتلמודهم الذي كتبوه بأيديهم يقول: «يجب على كل يهودي أن يسعى لأن تظل السلطة على الأرض لليهود دون سواهم، وقبل أن يحكم اليهود نهائياً باقي الأمم يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق، ويهلك ثلثا العالم، وسيأتي المسيح الحقيقي ويحقق النصر القريب، وحينئذ تصبح الأمة اليهودية غاية في الثراء؛ لأنها تكون قد ملكت أموال العالم جميعاً ويتحقق أمل الأمة اليهودية بمجرد قيام إسرائيل (من كتاب الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، لإسماعيل كيلائي ص ٨٩، المكتب الإسلامي سنة ١٩٨٩م). حتى تكون هي الأمة المتسلطة على باقي الأمم عند مجيء المسيح».

انظر فيم يفكر اليهود! تفكيرهم مادي بحت، الم يعبد آجداهم العجل الذهبي من دون الله!

واستطاع اليهود بدعائهم ومكرهم أن يحكموا العالم من خلف الستار؛ تمهيداً لحكمه علانية كما يدعون عند نزول المسيح الذي ينتظرونه وهو الدجال- إن شاء الله- والذي سيتبعه سبعون ألف منهم من يهود أصفهان حين ينزل هناك في بداية نزوله، أما الذي سينزل في دمشق فهو عيسى ابن مريم عليه السلام، وسيأتي تفصيل ذلك.

وقد أشرت في مقالتي السابق أن أهل الباطل يعملون بجد لتحقيق باطلهم كما يعتقدون، ويجنون أهل الأرض لمشروعهم ويتفقون رغم تفرقهم، أما أهل الحق المسلمون فيتفكرون رغم اتفاقهم ويهملون حقهم الصريح الصحيح، وإذا كان قادة أمريكا وإسرائيل ومن شايعهم لا يستنكفون عن الانتساب إلى عقيدة التوراة والعمل لها، فإن كثيراً من حكام المسلمين يستنكفون من الإسلام وأهله بل يحاربون الإسلام



نزول عيسى عليه

السلام

في آخر الزمان



عبد الرزاق السيد عيد

على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

واهلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
ما علاقة واقعنا بالحديث عن نزول عيسى عليه السلام؟

لا ترى أن إقامة إسرائيل في فلسطين هو تمهيد لنزول عيسى كما يعتقدون؟ وكما بينا في المقال السابق، وبالتالي فإن ما يحدث وحدث في العراق وفي فلسطين وفي لبنان وفي سوريا وتونس ومصر من أجل الحفاظ على أمن إسرائيل وبقائها، فمحاصرة مصر اقتصادياً ومائياً وعسكرياً، واختراقها اجتماعياً، وبث الفتنة والوقية، ونشر البغضاء بين أفراد المجتمع حتى تحدث القلاقل والحروب وتنتشر الفوضى الخلاقة التي تتبناها أمريكا والتي لا تثمر إلا الفوضى.

ونحن لا نشك لحظة أن اليهود يستخدمون الدين للعلو والسيطرة؛ لأنهم كما أخبرنا الله يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله وهم يستخدمون الدماء والمكر، ويغربون بكثير من النصارى ويضلونهم، ومع ذلك فمن الغرب وأمريكا من التقت مصالحه مع اليهود ووجد ضالته فيهم للحفاظ على مصالحه، ولاستمرار دفق البترول والمواد الخام، وإشباع رغبته في السيطرة والاستبداد، وأحسن القول قول ربي حين قال سبحانه: (يَمْنَعُكَ رَبُّكَ أَنْ تُنَادِيَ بِدِينِكَ لَا يُؤْذِمُ الْإِنْسَ إِلَّا مَا نَمُتْ عَلَيْهِ فَايْمًا

من المفترض أن تكون العداوة قائمة ومستمرة إلى يوم القيامة بين اليهود والنصارى، وأن يُبغض النصارى اليهود بغضاً أبدياً؛ لأنهم قتلوا إلههم ومعبودهم وكفروا به، ولذلك سيأتي في آخر الزمان ليقتلهم، وقد كانت فعلاً العداوة قائمة حتى بداية القرن السادس عشر الميلادي فماذا حدث؟

أقول: كانت العداوة مستمرة بين الطائفتين وكانت الكنيسة البابوية في روما تقود هذه العداوة وتستمر في لعن اليهود وينسبون إليهم كل شر، ومن طرائف هذا العداء أن وباء خطيراً انتشر في أوروبا فقتل ثلث سكان القارة وأطلقوا عليه «الطاعون الأسود»، فاعلن بابا الفاتيكان في منشور رسمي غم في كافة أنحاء أوروبا أن سبب هذا الطاعون هم اليهود، وقامت حملات شديدة تزعمها البابا لتخفيف المجتمعات الأوروبية من اليهود، واستمرت هذه الحملة ثلاثة قرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر للميلاد، لكن هذه العداوة تقلّش شيئاً فشيئاً بعد ظهور المذهب البروتستانتي واكتشاف أمريكا، وأخذ البروتستانت يعملون بدواء اليهود من خلفهم ولعل البروتستانت صنيعتهم حتى أعلنت الكنيسة البابوية مؤخراً براءة اليهود من دم المسيح، وتغلبت المصالح المادية على العقيدة الدينية لأنها هشة.

أما بالنسبة لمسألة اختلافهم فيما سيفعله المسيح حال نزوله فجمعهم الحقد والحسد ضد المسلمين، واتفقوا على تأجيل الحديث والخوض في تفاصيل نزول المسيح والتعاون والاهتمام لتهيئة الأجواء لنزوله، فإذا نزل فسئرى هل هو الذي يؤمن به اليهود أم النصارى؟

وللحديث بقية إن شاء الله وإلى لقاء لنجيب على سؤال مهم: هل لليهود حق ديني شرعي في فلسطين؟
والحمد لله رب العالمين.

والنكذب وهم يملكون) [آل عمران: ٧٥]، وللأسف هذا الصنف الأخير هو الذي بيده القيادة الآن وهو الذي يكذب على الله، أفلا يكذبون على الناس؟ بل يكذبون ويعتبرون غيرهم خدماً لهم، هذا وقد صنفهم القرآن إلى قسمين أميين وهم الكثرة وقادة في التحريف، فقال عن الصنف الأول: ([البقرة: ٧٨] هؤلاء ضالون وقعوا فريسة لهؤلاء الذين قال الله عنهم:)
يَكُذِّبُونَ الْكَلِمَ بآيَاتِهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ غَدٍ أَنَّهُ لَيْسَ بِرَأْيِنَا قَلِيلًا قَوْلٌ لَّهُمْ إِنَّا كُنْتُمْ آيَاتِهِمْ وَذُئِلُّهُمْ إِنَّمَا يَكُونُ [البقرة: ٧٩].

الفرق بين عقيدة اليهود والنصارى في المسيح:
هناك فروق جوهرية بين اليهود والنصارى في اعتقادهم في المسيح في مولده وحال حياته وعند رفعه وحال نزوله، وحتى لا نكرر كلاماً سبق أن ذكرناه ساقف الآن عند موقفين نحتاج إليهما الآن:

الأول: موقف اليهود من رفعه.
الثاني: موقفهم عند نزوله.
بالنسبة لاختلاف اليهود والنصارى في المسيح حين رفعه الله إليه، وهذا اعتقاد المسلمين، أما اليهود

فتاوى

من فتاوى الأزهر الشريف

تعريف قبلة الصلاة

س: بنى فاعل خير مسجدا بناحية محتاجة لوجوده ليتقرب إلى الله تعالى وانفق في تشييده وفخامته كل ثروته وكان حرر قبلته أحد المهندسين.

وفي يوم افتتاحه حضر فيه فضيلة رئيس المحكمة الشرعية، وبعد أن تحرى وحقق بنفسه صحة اتجاه قبلته بواسطة البوصلة التي أحضرها معه خصيصا لذلك، أجاز الصلاة فيه وأداها فضيلته وكثير من العلماء والمتفقهين مرارا عديدة، ثم جاء مهندس آخر ادعى أن بالقبلة انحرافا لا يخرجها عن الاتجاه الحقيقي، فعلى فرض وجود ذلك الانحراف مع ما في الدين الحنيف والشريعة السمحاء من اليسر أفلا تكون الصلاة فيه صحيحة أو يغلط وتعتل فيه الشعائر الدينية؟

الجواب: اطلعنا على هذا السؤال ونفید بأنه يشترط لصحة الصلاة لمن لم يكن مشاهدا للكعبة إصابة جهة الكعبة، وجهتها هي التي إذا توجه إليها الإنسان يكون مسامتا للكعبة أو لهوائها تحقيا أو تقريبا، ومعنى التحقيق أنه لو فرض خط من تلقاء وجهه على زاوية قائمة إلى الأفق يكون مارا على الكعبة أو هوائها، ومعنى التقريب أن يكون ذلك منحرفا عن الكعبة أو هوائها انحرافا لا تزول به المقابلة بالكلية بأن يبقى شيء من سطح الوجه مسامتا لها أو لهوائها.

وعلى ذلك فمتى كان المصلي في هذا المسجد غير منحرف عن القبلة انحرافا تزول به المقابلة بالكلية بل يبقى شيء من سطح وجهه مسامتا لها أو لهوائها صحت صلاته وإلا فلا. هذا والله سبحانه وتعالى أعلم. [المفتي: عبد المجيد سليم]

صلاة الجمعة خلف المذبح غير جائزة

س: يوجد بالناحية جامع بدون إمام ولا مقرئ، فهل يجوز سماع القرآن والخطبة من جهاز الراديو وتكون الصلاة بعد الخطبة؟

الجواب:

إنه ورد في الحديث كما رواه البخاري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صلوا كما رأيتموني أصلي) ولم يصل عليه السلام الجمعة إلا في جماعة وكان يخطب خطبتين يجلس بينهما كما رواه البخاري ومسلم، ولذا انعقد الإجماع على أنها لا تصح إلا بجماعة يؤمهم أحدهم كما ذكره الإمام النووي في المجموع، وقال ابن قدامة في المغني: إن الخطبة شرط في الجمعة لا تصح بدونها، وانعقد إجماع الأئمة الأربعة على ذلك، وعلى هذا لا تصح صلاة الجمعة في هذه القرية المسئول عنها بدون إمام ولا خطبة ولا يكفي في ذلك سماع الخطبة وحركات الإمام من المذبح والله أعلم. [المفتي: حسين محمد مخلوف].



فتاوى

من فتاوى المركز العام

موضع دعاء الاستخارة

س١: متى يقال دعاء الاستخارة، هل بعد السلام أم قبل السلام؟

الجواب: الأمر في ذلك واسع، وإن كان بعد التشهد وقبل السلام أولى. وبهذه المناسبة نقول للسائل الكريم: اعلم أنه لا علاقة للاستخارة بالرؤى والأحلام، وإنما إذا استخرت ربك، فشرح صدرك للأمر فتوكل على الله، وإن وجدت ضيقاً في صدرك وانقباضاً فلا تقدم عليه. علماً بأن انشراح الصدر إنما هو شيء يطمئن إليه القلب، لكن لا علاقة له بتحديد وتقرير الخير والشر في المسألة.

هل الرجال يكفرون العشير؟

س٥: هل الرجال تكفر العشير مثل النساء؟

الجواب: كفران العشير معناه إنكار الإحسان السابق على كثرته لسيئة تكون من المحسن، وهو يكون من الرجال كما يكون من النساء، ولكنه في النساء أكثر، ولذلك خصهن بالذكر.

هل كان نبي الله نوح رسولاً للكافة أم للخاصة؟

س٦: ورد أن من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أنه بعث إلى الناس كافة، وكان النبي يُبعث لقومه خاصة، فهل سيدنا نوح عليه السلام

بُعِثَ لقومه خاصة أم للناس كافة؟

الجواب: عموم البعثة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث، فلم يبعث نبي إلى الناس كافة غيره صلى الله عليه وسلم، وكل نبي قبله كان يبعث إلى قومه خاصة، ونوح عليه السلام أرسل إلى قومه بدليل قوله تعالى: «إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه»، ونحوها من الآيات.

حكم التهرب من دفع قيمة تذاكر المواصلات العامة

س١: ما حكم من ركب القطار ولم يقطع تذكرة؟

الجواب: لا يجوز أن يعتمد الركوب دون أن يقطع التذكرة من المكان المخصص لذلك إلا من عذر، فإذا أتاه المحصل في القطار دفع إليه ثمن التذكرة وأخبره بالمكان الذي ركب منه، فإن لم يأت المحصل ونزل فعليه أن يقطع من محطة وصوله تذكرة ثم يتلفها. وبذلك تبرأ ذمته.

على المرأة أن تتجهد في بر زوجها وطاعته

س٢: زوجة لا تمكن زوجها من نفسها، فما حكم ذلك؟

الجواب: يجب على الزوجين أن يعلما حرص الإسلام على استقرار الحياة الزوجية وخلوها من المشاكل التي تعكر الصفو، ولذلك شرع لكل منهما على صاحبه حقوقاً يكفل أداؤها السعادة الزوجية، قال تعالى: «ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف»، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا لكم على أزواجكم حقاً، ولأزواجكم عليكم حقاً، ومن أعظم حقوق الزوج حق الفراش، ولذلك شدد النبي صلى الله عليه وسلم فيه، فقال: إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتاته وإن كانت على التور». [صحيح الترمذي

١١٦٠]، وقال صلى الله عليه وسلم: إذا

دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تاته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح [متفق عليه].

فعلى المرأة أن تتجهد في بر زوجها وطاعته، وأن تلبي له حاجته، وعلى الرجل أن يراعي ظروف امرأته وأن يعذرها حين تكون مرهقة أو متعبة، وبهذا التفاهم تستقر حياتهم، وتدوم الفتهم.



سارع اخي المسلم واخوتي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن
الزكوات أو الصدقات لنشر
التوحيد من خلال المشاركة في
الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجاناً
تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشاً .. يطبع
من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

تشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة
وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك
لعمل كرتونة كاملة ٢٨ سنة من المجلة.

دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد
- نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء
الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنكم المشاركة ودعم ذلك

بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي .
.. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد .

مفاجأة سارة

الآن

موسوعة التوحيد

ببلاش



- بشرى سارة لإدارات الدعوة في فروع أنصار السنة بأنحاء الجمهورية .
- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم ، أربعون عاماً من مجلة التوحيد .
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية من مجلدات مجلة التوحيد .
- استلم الموسوعة ببلاش بدون مُقَدِّم ؛ فقط ادفع ٧٥ جنيهاً بعد الاستلام على عشرة أشهر .
- من يرغب في اقتنائها فعليه التقدم بطلب للحصول عليها من إدارة الدعوة بالفرع التابع له أو من خلال قسم الاشتراكات بمجلة التوحيد بطلب مُرَكَّب من الفرع .
- علماً بأن نموذج طلب الشراء والإقرار المرفق به من قبل الفرع موجود على موقع أنصار السنة وصفحة الفيسبوك الخاصة بكل من رئيس التحرير وصفحة مجلة التوحيد .
- هدية لكل من يرغب في اقتناء كرتونة المجلدات عبارة عن فهرس عام للمجلة وفهرس موضوعي يسلم بعد طبعه للفروع والمشاركين .

ومشاجة أخرى
المجلة الجديد لعام ١٤٣٣ هـ
موجود الآن؛ سارع بالحصول عليه بـ ٢٥ جنيهاً فقط



23936517